المجلس الأعلى للثقافة

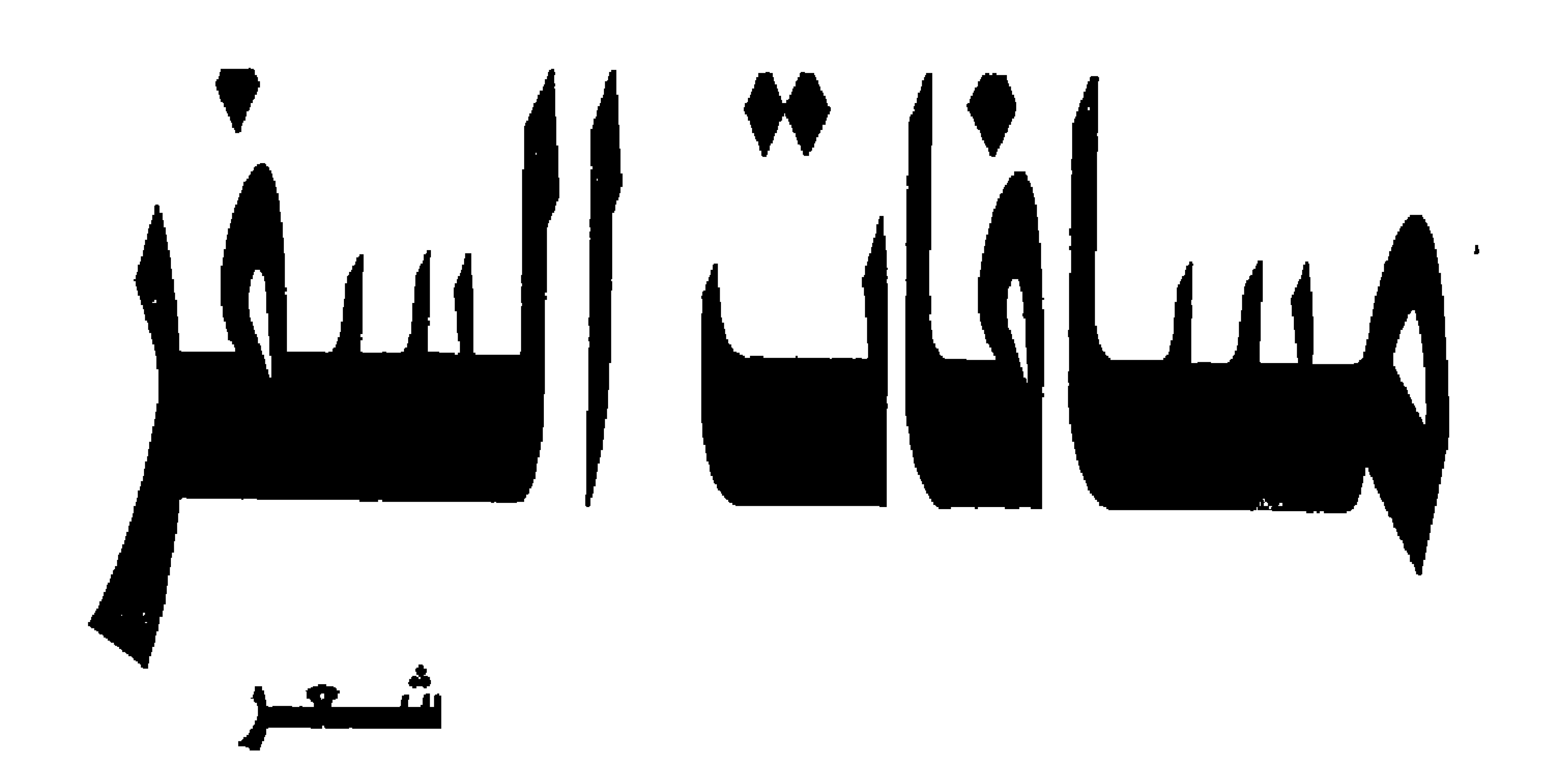
مسافات السفر

شعر

فوزى خضر



المجلس الأعلى للثقافة



مسافات السفر

شعر

فوزى خضر



١٩٩٦

الاخـراج الفنى : سعيد المسيرى
الغلاف والرسوم : نجوى شـلبى

الإهـــداء

إلى من تحملت معي ..

مسافات السفر .





مسافة الندم

إنطلاق نهر النار

قَطِّعى الآن من جسدى ما تشائين
كل الثمار مجعدةُ الجلدِ ،
تُقصف أعناقها فى الرياح العفية ..
والموت آتٍ
تحسستُ قلبىَ .. نبّأنى أننى لم أزلْ .
قطِّعى .. إنه زمن الصمت كبّلنى
ما الذى سوف ينطق غصنٌ به
ندمتْ زهرةٌ أنها فُتِّحَتْ فوقه ؟!

تتوالى ليالىَّ موجَ طيورٍ مذبَّحةٍ ،

عـابرٌ فىَّ نهـرٌ من النار ، منبعه القلب ، يركض ليس له من مـصبٍّ، يُثَقِّبُ ذاكـرتى .. تَخْرُجُ الآن منهـا نسـاءٌ بغيـرِ صدورٍ، رجالٌ بغيـر رؤوس ، بلادٌ بغيـر بيـوتٍ ، أدق الجدار بجمجمتى .. تتصدع ، تَخْرُجُ منها القطاراتُ والمدنُ المشتهاةُ وأغنيةٌ لسواحلَ يصطادها الموجُ ، ليلـةُ عشقٍ شتائية تتقافز ، بذلةُ عرسٍ بغير عروسٍ ،أسدٌ بكفىَّ ثقباً بجمجمتى ؛ فيذيبهما : صَهْدُ نارِ احتراقِ حصادِ الليالى الطوال ..

تحسستُ قلبىَ ..

نبّأنى أننى لم أزلْ .

قَطِّعى .. قد أتانا الزمانُ العيىّْ

قطِّعى .. لم يزل رمقٌ يتراقصُ فىّْ

قطِّعى .. كنتْ - قَبْلاً - نَطُوقاً ..

وكنتُ الذى تعشقينهْ

كنتُ عنفَ انفجارِ الرعودِ إذا ما غضبتُ ..

وكنتُ إذا ما حننتُ : ارتطامَ المياهِ

ببطنِ السفينهْ

وإذا ما عشقتُ :

فعيدُ الحصاد ..

زفافُ العصَافيرِ ..

تصفيق فوزٍ ..

دعاءُ الرضيعِ ..

تراتيلُ ..

رقص المطــرِ ..

قطِّعي .. كلُّ حرفٍ تعلمتُه : خانني

وشفاهي : حَجَرْ

هاك حنجرتي في يديكِ مقطعة ..قطِّعي .. قطِّعي ..

ما الَذى سوف ينطق غصنٌ به

ندمت زهرةٌ أنها فُتِّحَتْ فوقه ؟!

* * *

ما تحسستُ قلبيَ ..

كنتُ على حافةِ البئرِ وحديَ .. أهوى ، تخاصم فيَّ الدجى و الشــروقُ ، تَقَاذَفَني الصمتُ والعــشق ، ترجـمني الأغنيـاتُ القـديمةُ ، ترجـمني بالطبولِ ، بإيقـاعـهـا ، تتـشـاجـر في أذنيَّ الدفوفُ ، تَهَدَّلَ يومي ، تقاتلني فيه مطرقةٌ ...

ما تحسستُ قلبيَ ..

منفرداً ، قدمايَ تَشَاجَرَتاَ ، قاتلتني عروقي ،

سَوَّرَني شجني ، ما تحسستُ قلبيَ ..

تصعد أشجارُ نارٍ على أضلعي ، تتسلقها ، تطرحُ الجَمْرَ ، ترجمني .. تركضُ الشمسُ خلفيَ ، تقذفني بالشرارِ : أَلوَنُّهاً ببحارٍ من العشقِ ، يمسك بي من خناقي لهيبٌ ، يرجرجني ؛ تترجرج فيَّ السنونَ التي هادنتني ، أُحَوِّطُ بالساعدين عليها ؛ فأفقدها

ما تحسستُ قلبيَ ...

كانت مسافاتُ عشقيَ عاريةً ، قَبَضَ الأخطبوطُ عليها .. وخلّفها هيكلاً من خُطىً قد كسته الطحالبُ ، هاجرتُ خلّفتُ كلَّ الجهات العيية مبتدعاً جهَةً ..

ما تحسستُ قلبيَ ..

كنتُ أعاند كلَّ الحروفِ القديمة

معتصراً قلبيَ - المكتوِي - أَحرفاً

مَا تحسستُه ..

كَنتُ مبتدئاً منه ،

أعصره قطرةً للثمالةِ .

تشربه كلماتُ القصيدة .

هـل سيَبْعثُ ماءُ مات ؟؟

وندمتِ أنكِ كنتِ لى !

صُـبِّـى علىَّ النارَ فى هذا الصـبـاح ، الدودُ فى صـدرى مشـاجرةٌ ، كلامى فى اللسـان خريطةٌ مبـتـورةٌ ، عـينايَ رمحان النهـار أتاهما رمحيْنِ مرتدّين منكسـريْنِ فى وجهـى ، حملـتُ الـداءَ ، لا الإمسـاءُ ساعدنى ولا الإصباحُ ساندنى ولا أنتِ ، ابتداءً ضَلَّ ، كـان الدربُ أشباهاً .. وكـان القلبُ تّياهاً إلى أن أفصحتْ شفتاكِ فانشقَّ الشّغافُ ، رحلتُ .. كان العـامُ أيـاماً جـوارحَ فـوق سَـقْفِ الرأسِ ، تلقطنى مناقيرٌ وتقذفنى مناقيرٌ ، رحلتُ بمتعـةِ الأسـفار لكنى أعـود الآن ، والترحـال صمتٌ وانتـظارٌ للسـقوط .. أغـوص فـى قـاعٍ ظـلامٍ ممـعنٍ ، من

لـي بحلـمٍ لسـتُ أحمـل جثتي فيـه ؟! .. النهـارُ مسـاحةُ الأحـجارِ ، والليـلُ اشـتـهـاءُ النومِ ، هل يومٌ يجيءُ مخالفاً في العـامِ كـالإبهـام يمسك بالشـهـور ، يجيء في الموج انتـشـالاً ، أويجيء هنا على قبرِ الأسابيعِ المخاض ؟؟ .. أعيـشُ مجـتراً .. فهـل يـومٌ سَيُبْعَثُ فيـه مـاءٌ مـاتَ في رمـل الصحارى ؟! .. هل تُشَقُّ ثيـابنا عن جَنَّةٍ ؟؟ .. لُفِّي الرداءَ كـمـا تشـائين .. ابتـداءُ الحُلْمِ :خوفُ الليلِ ، ماذا في ارتدادِ الصوتِ غَيَّرَ نبرةَ الإلقـاءِ ؟! .. أهرب في بكاء الشِّعر محتمياً بثرثرة الحروفِ ، أهبُّ من قاعٍ إلى قاعٍ ، أُحاول .. هل أُغالبَ صمتيَ السيّافَ بالصوتِ العروقِ النحرِ ؟؟ شقّيني .. وصُبّي النارَ في هذا الصباح ، فإنه عيدي يجيء مُهدّماً بالصمتِ يمرح فيـه ، فاطوي وجهيَ المهدُومَ كـالأوراقِ ، واطوي مـرةً أو مـرتين ، الآن يشـهقُ عيـدُ مـيلادٍ بلا صَحْبٍ ويهـوي في محيطِ العـام ، كان العـامُ مشدوداً إلى أفقٍ : هوى عامٌ قطارٌ راكضٌ .. والشهرُ نافذةٌ به ، منها يطلُّ الليلُ ..والأيام ملقاةٌ مناديلاً بلونٍ واحدٍ منها ، شققتُ صخورَ وجهي ضفتين غرقتُ بينهما (فلوميني لأني ما

رفـعتُ الكـفَّ فى غـرقى أودع وجـهك المعـشـوق) كـان الليلُ ضـوضـاءً .. صـعـدتُ على زحـام السـوقِ ، فُتُّ على دكـاكين الذبائح ، أخرجتُ كفّاىَ ما جّمعتُ من مالى ، اشتريتُ شريحةً لحماً عـشـاءً ، حين أعـددتُ العـشـاءَ : وجدتُه لحـمى ! تذكـرتُ ابتـداءَ الدربِ : كنتِ مليـحـةً كـالدارِ .. كـالإبصـار فى أيامى العـميـاءِ .. كنتِ حنانَ أمٍّ .. لهـفـةً فى قلبِ عـاشقـةٍ . ، وكنتُ أصـارع الأيامَ تنيِّناً فَـتنِّيناً ، لعلّى أنزعُ الفَـرَحَ المفـاجىءَ من مـخالبِ هذه الأعـوام، كنتُ أسوق قطعـاناً من الأملِ البـعيـدِ ، وكلَّ ليلٍ : أقطع الجسدَ - المعاند - فى يديكِ شريحةً فشريحةً، لكِ أنتِ لا للسـوق ! .. كنتُ الصـوتَ منفـرداً ، وتحت لسـانىَ الشعراءُ يرتجفون ، ها أنذا على استبداد صمتى :

أُرْتَجِفْ .

أقتليني .. فإني كنت الذى تشتهين

بماذا أُذكِّركِ الآن ..
ماعاد عبر عروقكِ منِّيَ حتى الفتاتُ؟
بماذا أذكِّركِ الآن ..
كلُّ شهودى بقلبك :
ماتوا .

* * *

وكان مساءُ
تشقق فيه الجَبَلْ
وكنتِ ابتداءً ..
وكنتِ السماءَ تودّع عُمْرَ السَّفَرْ
وتفتح أزرار سترتها ،

ترتخي في انتظار المَطَرْ
وكنت يدينِ مُمَدَّدَتَيْنِ ..
على قِصَّةٍ ليس فيها انتهاءُ
وكان مساءُ :
تقطَّعت السُّحْبُ فيه ..
وكُسِّرَ بين يديكِ القَمَرْ .

* * *

تخاصمتُ والدربَ ، كنّا رفيقيْنِ ، كنّا عَدُوَّيْنِ، سابقتُ أنف الشعاعِ من الشمسِ حتى المحيطِ ، تشاجرتُ ، والريحَ ، صُمْناً معاً ألفَ عامٍ .. وأفطرتُ بالريحِ ، أفطرتِ الريحُ بى ،لم أكنْ غَيْرَ حُلْمٍ يقاتله الصَّحْوُ فى قِصَّةٍ تتوالى الليالى بها ، لم أكن غير أغنيةٍ ، فجأةً : تنتهى .. فابدأى الآن طعنَكِ فىّ ، فما عاد فىّ سوى ساعة المقصلة .

تقاتلنى ساعةٌ تتماردُ فىّ ، تزاحم عبر عروقى كرات دمائىَ ، تَضْغَطُ فىّ خلايّاىُ : أقفزُ من مقلتىّ ذَبيحاً ، أُخَبِّطُ ظِلَّ الهواءِ ، لعلّىَ فى لحظةٍ أتشبّثُ بالريحِ

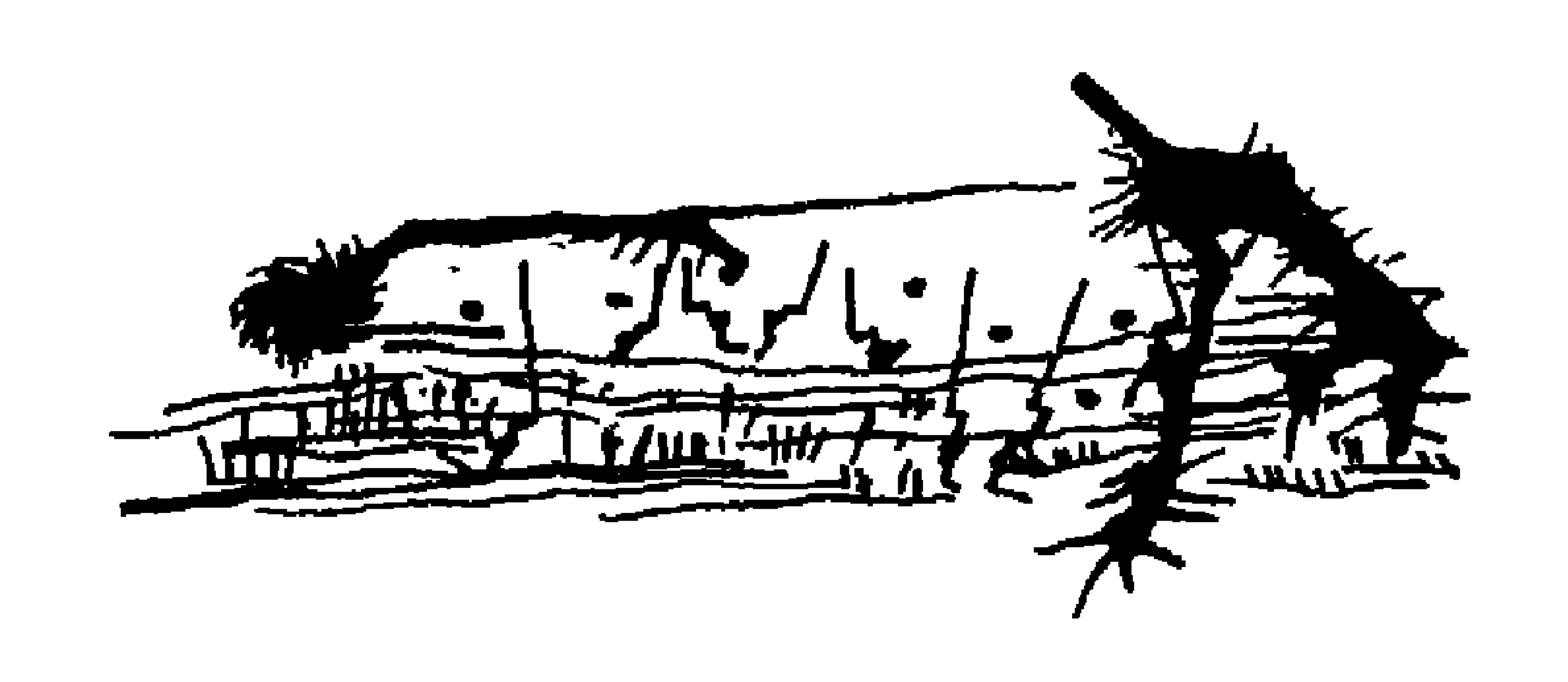
(كنتُ تصاحبتُ والريحَ عُمْراً ،
وكنّا عدوّيْنِ ..

لكننا فى التقاتلِ صُمْنا معاً ألفَ عامٍ)
فلا الريحُ حَنَّتْ .. ولا أنتِ ..
كنت ابتداء ..
وكنتَ السماءَ تودّعُ عُمْرَ السَّفرْ
وتفتحَ أزرار سترتها ،
ترتخى فى انتظار المَطَرْ
بماذا أذكّركِ الآن ..
ما عادَ عبر عروقكِ منّىَ حتى الفتاتُ
بماذا أذكّركِ الآن ..
كل شهودى بقلبكِ :
ماتوا .

* * *

تَقَلّصَ فىَّ اشتعالىَ ، ما عاد منه سوى زهرةِ النار فى رأس سيجارتى ، فاسكبى غضباً ليس يقتل نجماً سواىَ ، تَشبثتُ حتى هويتُ ، ترقّبتُ حتى مللتُ ، استبدَّ بىَّ الصمتُ حتى الرماد ، اقتلينى .. فإنى كنتُ الذى تشتهينَ ، وفى القلبِ أغنيةٌ لا تلينُ .. ، وفى زمنٍ حينما كنتُ ما أشتهى : كنتُ ماءَ الحياة لعينيك ، مشتعلاً كنتِ لى ماءَ وجهىَ والآن ها أنتِ ظَمْأى .. وها أنذاَ :

أسـافـرُ .. وانتحـرتْ فـي
خطاىَ البلادُ ، وأنت سماءٌ من القيظِ .. قُولِي ..
بماذا أذكّركِ الآن ..
ما عادَ عبر عروقكِ منّىَ حتى الفتاتُ
بماذا أذكّركِ الآن ..
كلُّ شَهودى بقلبك :
ماتوا .



.. لكنهم قتلونى

لم أَمُتْ .. لكنهمْ
قَتَلُونى .

فاسكبينى قصةً مبتورةً فى كأسكِ الأولى ، ظميئاً منذ ثدى الأم ، منفيّاً ، جرعت الدربَ قفزاً ، خلفىَ السوطُ ، احتملتُ السقطةَ الأولى ، حصادَ النار ، أزهارَ الفجيعه .

حاملاً جمجمتى كأساً بها البلدانُ والأوطانُ ، أستفتى عيونى ، والدجى يرجمنى ، أعدو أثير الأرضَ والأشجارَ ، تعدو خلفىَ الشمسُ الذبيحة .

فدعينى أسند الخد على نهدكِ فى هذا المساءْ
لم أمتْ .. لكنهم
قتلونى .

كنتُ أشتدُّ على نصلِ الليالىِ السُّودِ ، يدعونى بكاءُ العدلِ،

تسخو بى على الأزمانِ كفُّ الفجرِ ، قبل الآن ما كنتُ الشظايا احتراقَ الفحمِ ، ما كنتُ انقطاعَ الحبلِ ، كنتُ العشقَ والصبحَ المعافَى ، واختراقَ النارِ ، والريحَ ، الجبالَ ، الموجَ ، كنتُ الماءَ كأساً فى يدِ الأطفال ، دمعاً فى عيونِ الحزنِ ، ريًّاً ، فيضاناً .

من تُرَى يسكبنى الآن عَلَى كأسكِ قطره؟

من ترى يشهد أنى :

لم أمتْ .. لكنهم

قتلونى ؟

كنتُ ظمآنَ لميلادى ، قوياً كانفجارِ البحرِ ، معشوقا ، عميقاً ، أرتدى غَضْبَةَ ثأرٍ ، أحتوى جيشاً من السلوى ، قُرىً تمتدُّ فى زندىً : عيداناً ، نبوءات حصادٍ .. صرخةً مُطْلَقَةً عبر شرايينى تداوينى ، أهبُّ الخطوةَ الأولى ، سماءً من مواعيدَ لأعيادٍ ستأتى فجأةً ، أنقض سيفاً ، أتداوَى صائماً ، لكننى أسرِى سراجاً عاشقاً ، أعلو وأُهْبِطُ :

فى محيطِ الدَّنْدَنَهْ

دِنْ .. ددِنْ .. دِنْ

دِنْ .. ددِنْ

وأغنّى .. صاعداً كالريح ، نشواناً ، شهيًّاً ، طازجا ، عيداً جديداً ، هابطاً كالماءِ فى الشلال ، قفزاً أَبْدلُ

الأغصانَ بالأغصانِ عُصفوراً عريساً ، أمنحُ الكأسَ صحَابَ
الليلِ و الأوتارَ أعطيها انتباهَ القلبِ ، أنشقُّ رغيفاً طيباً ، ألتمُّ
حرفاً داعياً حرفاً لكي يولد عيدُ الكلمه

ثم بُعْثِرتُ ..

وفتّحتُ عيونى :

لم أجدْ منّى الذى كنتُ عهدتُ ..

لم أمتْ .. لكنهم

قتلونى .

فامنحينى صدركِ المرتجَّ ..

إن الموجَ عاتٍ ..

والأغانى ليس تجدى فى انتحارِ السنبلهِ .

... ...

ساعةً :

والشمسُ تنشقُّ إلى نِصفيْنِ فى رأسى ، تُجَنُّ الأرضُ
(يغدو العشبُ ناقاتٍ .. وتعدو فى الفضا الأشجارُ ترمى
بِبَنيهاً فى الصحارى .. يتمطّى فى العيون الدربُ يمتدُّ شريطاً
ثم يلتفُّ على نحرى .. يَغيضُ الثدىُ بئراً)

أتداوى باشتعالِ العقلِ أزهاراً من النيرانِ ، تنشقُّ التواريخ
مواعيدَ لرأسٍ (كلما نامت) يجىءْ .

فاصهرينى باحتراقِ الصَّمتِ فى العمرِ الصدىءْ
إبعثينى زهرةً للماءِ ، حرفاً فى قصيدة
عانقينى فى شتاء الحلم .. وامتدّى فصولاً الماءِ :
كُونِى قطرةَ السلِوى وكأسَ العشقِ والنهرَ الذى ليس يجفُّ .
يابسٌ زَهْرُ الحقيقه
فى عيونِ الصمتِ ،
لا تحترقى أنتِ .. تعالى دفقةً كالنهر لا تحترقى
لم أخنْ خطوِى .. وعشقِى ..
فدعينى ..
أغسل النهدين من ماء عيونى
لم أمتْ .. لكنهم
قتلونى .

الانحناء .. لغرس البذور

شُقِّينى نصفين ..
فأربعةً ..
فثمانيةً ..
ألفاً
أعطينى ألفاً ..
ألفينً ..
فأربعةً ..
فثمانيةً ..
مليوناً من ألسنةٍ زاعقةٍ
عَلَّى أنطقُ ..
علّى أرفض هذا الموتَ المجانىّ.
رَحّالٌ يا وطنى ... رحّالْ

منذورٌ للطرقاتِ الناريةِ
للأيام الجوفاء المسبيةِ
منفيٌّ بين الناس الأحجارْ
رحالٌ يا وطنى .. رحالْ .

* * *

تتفجر فى رأسى لحظاتٌ ، يتحلق حولى تاريخى ، تتشاجر فى جمجمتى حاراتُ البلدانِ ، أهبُّ طعيناً ، أصفع مرآتى ، أسكب كلَّ الأوجهِ من عينيَّ ، أسبُّ الأسماءَ الموضوعةَ فوق لسانىِ ، أنفضُ عن رأسى كلَّ الأيامِ المكسورةِ ، أرفُضُ كلَّ الأعينِ إلا عينيكِ الطيبتين ، فها أنذا آتيك جريحاً مطعونا تتفجرّ فى رأسى لحظاتٌ أفرد جسمى فى الريح ، أعاند أوقاتى ، أصرخ فى عينيكِ الطيبتين بأعلى صوتى لن أتوقف عن ركضى .. لكنى :

توقفنى الفاكهةُ القادمةُ لأيدى الأطفالِ ، تكبّل أقدامِى اللعبُ .. الحلوى .. الخبزُ القادمُ للأطفال .. فأترك ركضِى يعدو فى صدرى ، يخنق نَبْضَاتِ القلبِ ، يمزّق كل خلايا

جسدى ، أصفعُ مرآتى ، أبحث عن ركن علّى أهرب فى عينيكِ الطيبتين من اللحظاتْ .

تتفجّر فى رأسى لحظاتٌ ، لو أنكَ لم تنذرنى يا وطنى للطُرقاتِ لما كنتُ تيبّستُ ، وما كنتُ صمتُّ ، وما كنتُ توقفتُ عن الركض ، أُعِدْنِي .. إنى أنزف جسدى ، أو سمتى ، أصحابى لا يوقفنى فى هذا الدرب الدامى إلا الفاكهة ... اللعب ... الحلوى ... الخبز القادم للأطفال المنتظرين أباهم ، يرجع يحمل فى كفيه هدايا .. آهٍ .. لو دفعتنى عيناكِ الطيبتان لركضِي .. ما كنتُ توقفتُ ، تعالىْ .. أخفينى الليلةَ بين ذراعيكِ ، دعينى أدفن وجهِيَ فى صدرك عَلّى أتعلّم .. ها أنذا أتهجّى معنى ألفٍ تتلوها باءْ .

ألفٌ .. باءْ

حرفانْ

يمتزجانِ ، يصيرانْ :

جسداً يعدو فى الطرُقاتِ ، يعود وفى كفيه سلالٌ يمنحها للأطفال ، تفتّشها ، تُخْرِجُ منها ما ترجو ، تمنحُه البسمةَ .. يسترخى .

أَلِفُ باءْ
حرفانْ
يمتزجانْ
يحتملانِ الريحَ ، تهبُّ الكفُّ لتقطفَ من أعلى الشجره .. ،
ينحنيانِ :
لغرسِ بذورِ الغدِ ..
آهٍ يا ثمرَ الغدِ ....
آهٍ .. تتفجّر فى رأسى لحظاتٌ ...
تصرخُ ....
لكنْ فجأه :
تخفتُ ..
حين يضجُّ الأطفالُ الفرحون .



مسافة التيه

نمتِ .. على حلم فات

إنكفأَ الفنجانُ ..
لهذا أرتدُّ إلى شجرِ البُنِّ .. إلى الماءْ.
(فات الشجرَ المتحجِّرَ عامُ الإنجابْ
والماءُ الباقى : ماءُ البحرْ ..
هل يَصْلُحُ ماءُ البحرْ ؟!)
أرشفُ ما يتبقّى فى ذاكرتى ..
من أوراقٍ مزّقها أملى
وظننتكِ تبتسمين لوجهى
لكنْ : وجُهكِ ..
كان – بشوشاً – ملتفتاً عنّى .

* * *

أتفجّر فى الليلِ شظايا تعدو فى الطُّرقات ، تلملمنى كفُّ الغضبِ النارىّ ، تجمّعنى ، تصهرنى ، تسكبنى فى جوفى حين يجىء ضيوفى ، أغدو كلماتِ الترحيبِ ، الشاىَ ، أحاديثَ الودِّ .. ، على المائدةِ الثرّةِ أغدو كوباً ، أشرب ما يتبقّى فيه من الماءِ المُطْفِىءِ ، أبتلع الحزنَ الجامدَ ، أُشْعِلُنِى سيجاراتٍ ، تُحْرَقُ حتى تَفْنى .

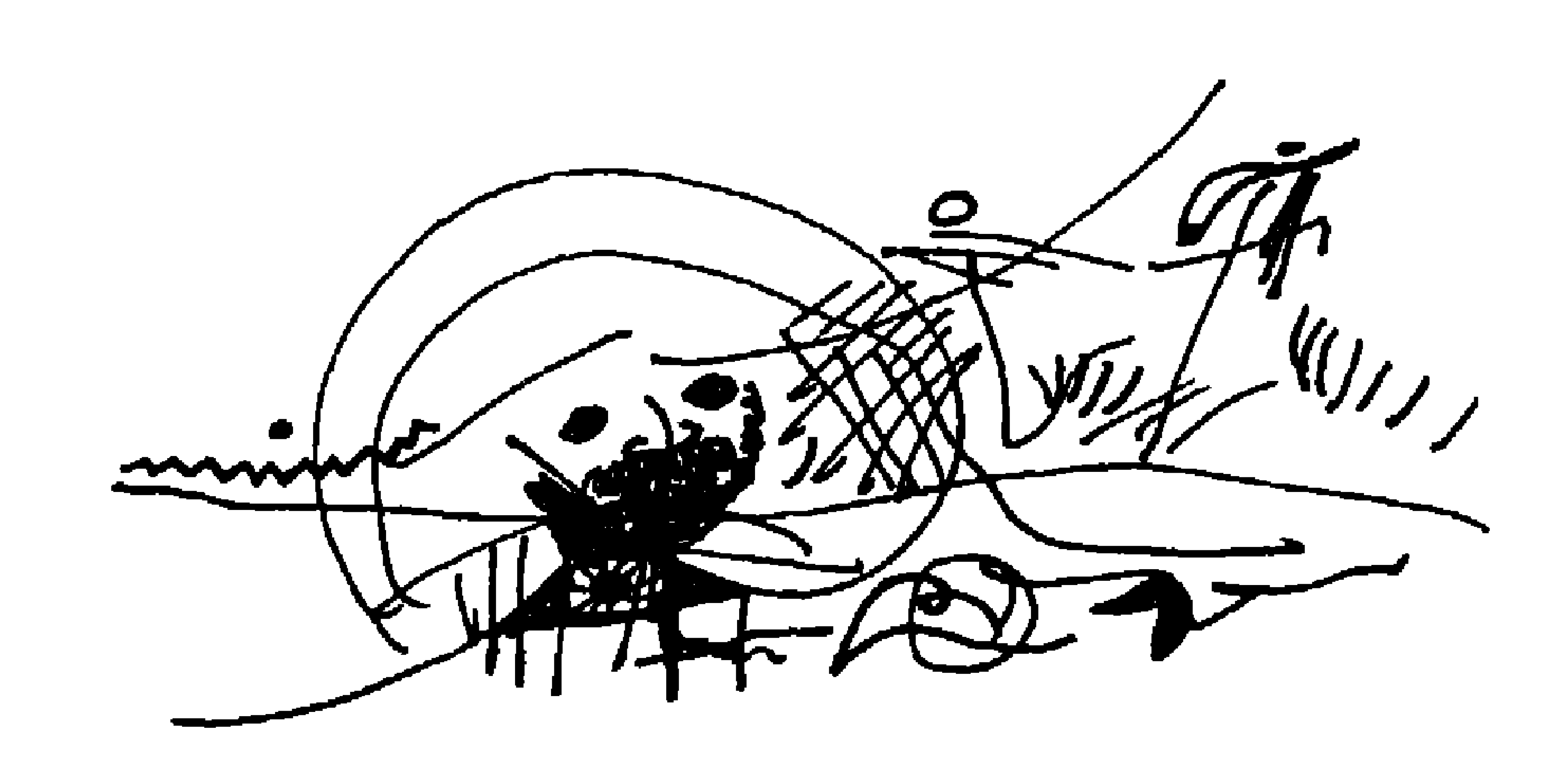
(كنا نجلس نرشف قهوتنا
يسألنى وجُهكِ ..
فأجيبْ
أسأل عينيكِ .. تجيبانْ
لكنْ .. هذا اليومْ :
إنكفأ الفنجانْ)

أهرع للشارع .. ألقى العينين تدوران مع العجلات ، تلوّننى أضواءُ نيونٍ فى الإعلاناتِ ، أهرول ، ينعطف الشارعُ ألقانى مُنْعَطِفاً ، يمتدُّ الشارعُ ألقانى ممتداً .. تركلنى أغنيةٌ تصرخ من حانوتٍ ، ينهرنى بوقُ السيارةِ ، أرجع ، أرمى جسدى

فوق المضجع ، لا تلتفتين إليَّ .. وتُغْمَضُ عيناكِ على حُلْمٍ فاتْ.

وأنا لا تُغمَضُ عيناىَ ..

فبين جفونى قِطَعٌ من فنجانٍ مكسورْ .



أركض بين تروس الرأس

أَنْفُذُ من أَيْنْ ؟

جلدى قد ضاق على جسدى

بلدى : ليست بلدى

بلدى نيرانٌ فى الجنبينْ

أنفذ من أينْ ؟

اليومُ بحنجرتى : حَجَرٌ ..

والآتى أغلق لِى العينينْ

أنفذ من أينْ ؟

أنفذ من أينْ ؟!

أجلس في مقعديَ الواهنِ ، أُغْمِضُ عينيَّ
فـلا تدرين بأني أركض من رأسي حـتى قـدميَّ ، تحـاربني أعضائي ، تُتْلِفُ لي أنفاسيَ ، أركض بين تروس الرأس ، تآكل صوتي ، صدأتْ أوراقُ التقويمِ السنويِّ ولازلنا في الشهر الأول إن تنشقَّ العينانِ مسـاءً تنشقاً ببكاءٍ ، إن تنشقَّ الشفتانِ صباحاً : تنشقاً بدماء ، أركض منغلقا بالصمتِ ، تحاصرني شبكاتُ عروقي ، أغدو طُعْماً لتضاريس الجسدِ ، ارتجتْ بي قُوَّهَةُ البركانِ ، تأوهتُ بزَمِّ الشفتين ، ترامتْ بلدانٌ في جسدي من رأسي حتى قدميَّ ركضت ببلداني ..

كانت أشجاراً ، شَقَّتْ أثوابَ الخضرةِ ، تعدو ، تلطمُ أَوْجُهَهاً ولولةً ، تَنْعَى كلَّ فصولِ العامِ .،

ركضت ببلداني ..كانت أحجاراً، تُلقي في قلبي من سبع سماوات ،تهوِي تتفتتْ في سطح القلبِ تراباً ، تذروه الريحُ ، فَيُعْمى فيَّ خلاياي .،

ركضت ببلداني..كانت كُتُبا، تبدأحملاًكرهاً ، تقضي الأشهرقيئاً ودواراً حتى يأتيَهاَ ميعادُمخاضٍ ، تتلوّى ألماً تتلوّى

..تتلوّى ، يخرج منها ما حفظتْه من الكلمات وليداً، يتجمع حرفاًحرفاً،يتمازج ، يغدوبقعةً حبرٍ، تتجلط فى كبدى ،فَتَشُلُّ القدميْن،

ركضت ببلدانى ...كانت حقلاً يطرحُ جرذاناً .. ديداناً ..نيراناًتأكلنى ،لاتنتظرى أن يتحرك فى الحلقِ لسانى ، لا تنتظرى أن أفتح عينىَّ ..

فإن سؤالا يُطْلَقُ رُمحَيْنِ من العينين :

أَنْفُذُ من أيْنْ ؟ .. أَنْفُذُ من أيْنْ ؟

جِلْدِى قد ضاق على جسدىِ

بلدى : ليست بلدى

بلدى نيرانٌ فى الجنبينْ

أنفذ من أينْ ؟

اليومُ بحنجرتى : حَجَرٌ ..

والآتى أغلق لِى العينينْ

أنفذ من أينْ ؟؟

أنفذ من أينْ ؟؟؟

هل أوصيتك بى ؟؟

أتشقّقُ ..

تَخْـرُجُ مـن بين شـقـوقى نارٌ ، أكـتـشـف الآن عـروقى فـاحـتـرسى ، لن يحتـاط الغـضبُ ، النارُ على الشـفـتين ، النارُ على الكفّين ، النارُ على العـينين ، بغـيـرِ مواعـيـدَ انهـدّتْ فى الرئتينِ جبـالٌ ، هبَّ ، اشتـاطَ البـركانُ المسكينُ الصابرُ أعواماً فى صدرى ، فاحترسى ياسيدتى ..

إن الأقدامَ على الحافةِ تفقد حكْمَتَهَا ..

وأنا أركض هذى الليلةَ فـوقَ حوافٍّ ليـاليك ، تعـيـد علىَّ اللحظاتُ الموءودة ذكرى أيامٍ ضاعت ساعة أنْ فُجّرتُ ، تشققتُ

انفجرتْ من بين شقوقى نارٌ تبدأ بى .

ناراً أركض ، تركض منّى أشجارُ العشق ، تفرُّ أمامى أسرابٌ من أحلامِ الأمس ، تولولُ حولى غابةُ أيامى .. أركض ، أحرق ما يتبقّى من ذلٍّ يتخفّى فى ثوبِ الرحمةِ ، أركضُ .. جمجمتى نارٌ جَوْعَى تَبْدَأُ بى .

أيقنتُ بأنى محترقٌ هذى الليله
أوصيتُ بآذانى خيراً ..
أوصيت بقدمىّ ..

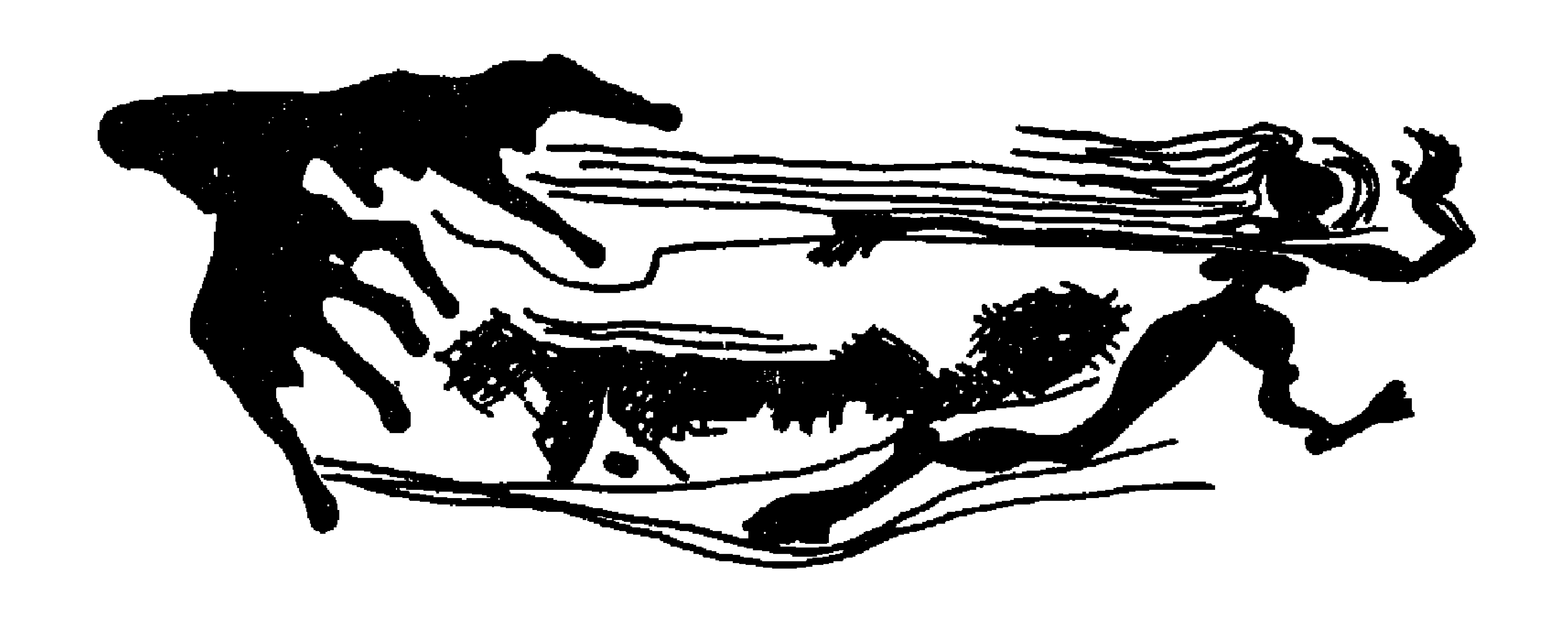
ركضتُ بلا أفقٍ ، يتحدّانى زمنٌ لا أتجاوزه ، أعلم أنى بددتُ الأعوامَ الحلوة منتظراً من لن يأتى ، أعلم أنى أنفقتُ الأحلام جميعاً ، لم يبق بصدرى إلا بركانٌ يقذف حمماً فى جمجمتى .. لن أُزرَعَ بعد الآن خيالا فى الحقل أُفَزِّعُ أطياراً سارقةً ، مشتعلٌ تاريخى مشتعلٌ يومى أركض ظمآنا محتملاً ناراً تقفز من جمجمتى جَوْعَى ، تبدأ بى .

أوصيتُكِ عَشْرَ وصايا
– فى زمن العشق الأول –
لا أتذكرها

هل أوصيتُكِ بى عَشْراً ؟؟
متُّ مراراً ..

أخطفُ من صدرى ناراً ، أركض .. تركض كل الأشياء أمامى ، أصرخ مِلْءَ الريح أطالعُ ما خلفى ، فإذا نارٌ تركض خلفى .. أقفزُ من لهبٍ فى لهبٍ ، تَخَرُّجُ أسياخُ من نارٍ من جمجمتى جَوْعَى تبدأ بى ..

هل أوصيتُكِ بى ؟ ! .



الركض فى صحراء الأحلام المجنونة

(١)

غُولٌ يعدو خلفى .. يبغى جمجمتى ..

أركض ، أقتحمُ الحائطَ ، أعبرُ بواباتِ الأسبوعِ السبعَ ، أخوضُ بحارَ الظلمةِ ، أركض ، يفزع منّى جلدى ، أركض ، أفقد بين الأحجار أصابعَ أقدامى ، أفقد شَعْرى فى الريح ، أُفَزَّعُ ، تمتد من الصدر الخاوى أنفاسى ، تغدو نَفَساً ممتداً ، لو أشهق : أسقط ، لو أسقط : يدركنى الغولُ ، اتسعتْ أقدامى ، طالتْ لتضيّق أفقِى ، أحمل رأسىَ فى إبطى ، أربطه بعروقى ، أركض ، تنشقُّ عروقى شِقَّيْنِ .. على الأرض الظمآنة

شقٌ وعلى جِلْدى شقّ .. يسّاقط منّى قلبى نبضاً يتوالى فى الأرض ، غضوباً مغلولاً يتشاجرُ فرداً وترابَ الأرضِ ، تعاندنى كلٌّ خطوطِ الطُّولِ ، خطوطُ العَرْضِ ، تعاندنى كلٌّ مسافات العالم فى أَزمنةٍ ضّيقةٍ كالخاتمِ ، أركض ، يدعونى وجهُك فأشدٌّ ذراعى محتضناً رأسى ، أركض ، يتوالى فى نحرى ليلٌ ونهارُ كَنيُونِ محلاتِ الميدانِ الساهر ، يُطْفَأُ يُوقَدُ ، يطفأُ يوقد ، أركض ، تصفعنى الريحُ ، تُدَافِعُنِى ، تتوالى سنواتٌ تطعننى ، أركض ، غُولٌ خلفى ، تطعننى أركض ، تطعننى أركضُ ..

أركضُ ..

أركضُ ..

أركضُ

أتعثّر فيكِ !

(٢)

أفزع منتفضا :مَوتى .. أو رأسى من بطنِ الغُول .

أهبٌّ شهيا كالطعنة، مستويا كالرمح ،عنيداً أتشاجر مَعْ أقدامى أركض مندفعا كقطار ،مفزوعا كقطيع ، مكتسحا

كالفيضان ، أشق الأرض ، أطيح بقشرتها ، منطلقاً سيخاً من نار ، أركض ، أنزع آفاقا من ثقب الإبرة ، أركض ، تفزع منى أحجار الدرب ، أشق صدورَ الريح صواعقَ،أركض ، أمزقُ سَفْحَ الجبلِ الراقد ، يصحو مذهولاً ، أمْرُقُ كاللحظة ، أركض ، يهتف بى وجهك ،لكن اللون تبدّل، رأسى فى بطنِ الغول هارب، لن أُرحَمَ إن لم أرْجعْ رأسى ، أركض ، أخطف كَفِّى من منقار الخوف، تطير بقلبى قدماىَ النازفتانِ ، أهشم صمتَ الليل ، أحطم جدرانَ الفجر ، أمزق آفاقى، أصْرَعُ تقويم العام ، أُقتّل أسماءَ الأشهرِ، أخترق الأعوامَ المشبوهةَ ، أنثرها عن تاريخك، أغتالُ الرحمة .. أركض (سوف ينام الغول بمدِّ البحر) تَخَطّفُنىَ الصحراءُ ، تقهقه ، أركض ، صدرُ المدِّ على الأبواب تمطّى ،أركض (لونامَ الغولُ فسوف يهشم رأسى)أركض ، يلقينى مخبولابين تلال الرمل سرابٌ لسرابٍ ، أركضُ ، يدعونى موجُ أركض رملٌ أركض ..موج ، أركضُ ،رمل ،أركض

موجٌ رملٌ ،أركض

أركضُ ..

أركضُ ..

أَتَعَثَّرُ فيكِ !!!

البكاء .. فى عمق الجمجمة

قَاطَعَنِى البكاءُ - فيكِ - مرتيْنِ :
مَرَّةً حين انتظرتُه مَدىً ..
حتى شككتُ أن يجىءَ أبداً
ومرةً حين غرقتُ فى الضَّحِكْ .

* * *

أتشَّبثُ بالقطرةِ فى شلاَّلٍ ، رأسِى مشطور بين القاع وبين الحدّ الفاصل - بين الأفقىِّ الجارف والرأسىِّ الهاوى - أترنَّحُ بين الأعداءِ المنتصرين ، أضَّمدُ حُلْمِىَ بالجرحِ النازفِ ، برماد الأملِ ، انشقَتْ كلُّ الأشياءِ .. سماءُ تبتعد ، انشقتْ كل

الأشــيــاء .. اللحظة آمــادُ من ذاكـرةِ خطابات العــشقِ إلى الأصحاب المنفيّين إلى البلدان الضائعة ، انشقتْ كل الأشـيـاء .. فلا ترتقبي ـــ العودة ، تنفجر الأسماءُ بأذُني ،(تُمْحَى الأوجهُ من عيني ، تتصارع في جمجمتي حاراتُ البلدان ، تُدافعني أصواتُ الأسواقِ المجهولةِ ، تنهرني أصداءٌ من أبواقِ السياراتِ ، تدقُّ طبولاً أيدي مجنونٍ في جمجمتي تنزع أنفاسيَ من رئتي نَفَسًا نَفَساً

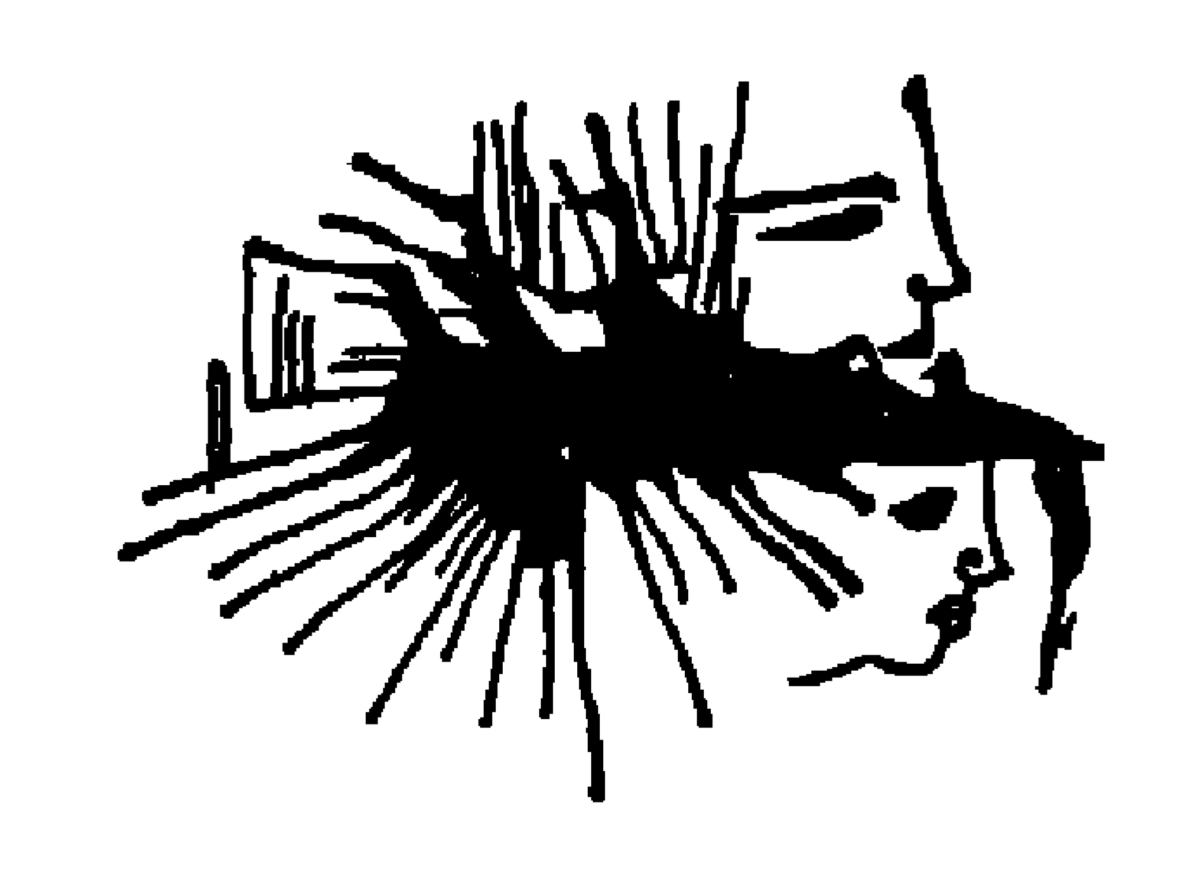
ضمّي عينيك عليَّ الليلةَ حتى أنسى الشلالَ قليلاً .. محترقاً فيك أعاند وجهَ يقيني ، أمسك بخناق غدي ، أتشاجرُ والريحَ ، أصبُّ الحبرَ على رأسي ، أشربُ من كلماتي وحدي ، حتى أفقدَ وعيي ، أتخبّطُ بين الأحرف من زاويةَ الجيمِ إلى قوسِ العين ، أظلُّ ألفٌ بدائرةِ الفاءِ إلى أن تلقيَني للياء ، تلاقيني ألفُ أخرى ، أقبضُ آخرَ خيطٍ في العقل ، أسافر منهُ : للقلبِ ، يكوّرني ، يقذفني ضَحًا حتى الرأسِ ، تَقَاذَفُني دقّاتٌ شوهاءُ ، تدقُّ طبولاً أيدي مجنونٍ في جمجمتي تنزع أنفاسيَ من رئتي نَفَساً نَفَساً

من أين سنبدأ لو عدنا ؟

من قمة هذا الشلال الأعمى ؟ .. أم من قاع النهر ؟ ؟

دعينى أصرخ حتى تنشقَّ جبالُ العالمِ عن طرُقاتٍ تجهلها الريحُ ، وتعلمها خطواتُ العشاقِ ، دعينى أصرخ علّى أغسل ما فى جمجمتى من دقاتِ طبولٍ تُركتْ فى أيدى مجنونٍ كى تسرق منى رقصةَ أشجارى ، كى تسرق من عينىَّ أراجيحَ ثمارى ، فانتفضى فىَّ سماءً من أروقةِ الذاكرةِ المسبيةِ ، هبّى فى القلب جزيرةَ فَىْءٍ تنتشلُ القلبَ ، تعالىْ كالزمن الماضى لؤلؤةً ، ضمّينى عاشقةً ، إنى أتداوَى وحدى ، أتهاوَى وحدى ..

وتدقُّ طبولاً أيدى مجنونٍ فى جمجمتى .



حواريات التبغ

فى صدرىَ الضيِّقِ دمعتانْ
واحدةٌ من دخانْ ،
واحدةٌ من حجاره .
: أخرجتَ من جيبك حفنةً من الترابْ ،
وَزَّعْتَهَا على صحافى .
يا موسماً بلاقطاف ..
يا موسمَ الفراقِ يا مُقَطِّعَ الأرحامِ والبشاره
فى صدرىَ الضّيقِ دمعتانْ .
أَدْخُلُ فى تَبْغِى .. نهراً من الأطيارِ ،
كلٌّ طائرٍ يحمل فى منقاره وَجْهَ صديقٍ ..
شاله الزمانْ

لكلٍّ طائرٍ جناحٌ واحدٌ ينتظر المثيلْ
وفجأةً : تقتتلُ الطيورْ .
أُدْخُلُ فى تبغى .. نهراً من السيوفِ و الرماحْ
تخافها الرياحْ
يعشقها الصليلُ ، تأتيها من البلدانِ فرسانُ الخَطَرْ
نهرٌ من السيوفِ والرماحِ آتٍ ..
والسيوفُ والرماحُ من وَرَقْ .
أُدْخُلُ فى تبغى .. نهراً من الخيولِ راكضاً بلا ضفافِ
يبحثُ فى متاهتى عن وجهكِ القديمْ
يسبقه الصهيلُ ، تعدو من أمامه البيوتُ
وتحت ركضه العنيدِ :
تتسع المسافه
لكنه يظل راكضاً لعلّه يكون فى مواسمِ القطافِ
الثَّمرَ الجديدْ
يظل راكضاً ..... وبغتةً : يموتْ .
أُدْخُلُ فى تبغى

أَخْرُجُ من تبغى
ولم تزلْ فى قلبىَ الضيِّقِ دمعتانْ .

٩

أطفأتُ فى قلبىَ جمرةَ اللفافه
نظرتُ فى خطابكِ القديم مَرَّةً ..
وفى كوبٍ من القهوةِ مُرَّه
قمتُ ، تركتُ البابَ مفتوحا ،
ولكنى ظللتُ صامتاً بلا ضيوفْ
فتحتُ فجأة حقيبة النعاسْ
ثرثرت الطيورُ
– كلُّ طائرٍ يحمل فى منقاره
وجَه صديقٍ شاله الزمانْ –
وثرثر الصليلُ والصهيل
فقمت باحثاً عن اللفافه .

* * *

لو أنه يعودُ

• ذلك الذى يختبىء - السنينَ - فى دمائى [1]

لو أنه يعودُ ،

يمحو - ركْضُهُ - وضِحْكُهُ -

من صدرى الدخانَ والحجاره

لوأنه يعودْ ...

لانبثقتْ فى دربِهِ البشاره .[2]

---

(١) فَوْضَوِيُّ فى دمى
يَصْغُرُ حتى يتلاشَى
إنما..
حينما أستنجدُ بِهْ :
يَتَمَدَّدْ
فيرانى سائراً فى مَوْكِبِهْ
أمنحُ الرُّؤَى المواعيدَ العِطَاشَا .

(٢) موعدُنا ..
فى ضَغطةِ الضِّمادِ فوق جُرحِ الانتصارِ .

ليلة بدوية

(إلى غالب الأمير)

الشايُ يمزجُ فى دمى قِمَمَ الجبالِ السُّود بالليلِ القرنفلِ بالخِرافِ البيضِ ، بالبدوِ الكبار السِّنِّ والبدوِ الصغارِ السنِّ بالصمتِ المُعَادِ .. فأمتطى شجنى ، وأحمل بئرَ أحزانى بجمجتى ، وأرحل عبر جَوِّ الشايِ مُسْوَدَّ الثيابِ وناصعَ العينين ، أقرأ فى سماء الليل تاريخَ الخِرافِ البيضِ ، تبدأ باحتمالِ القيظِ فى السفح الجَحُودِ إلى مواعيدِ الأسى والذبحِ ، أحمل فى دمى وجهاً تألق فى القرنفلِ حيث لَونُ الليلِ ، حيثُ سماؤنا : لونُ القرنفل ، طعمُه ، وأراه متسعاً لنهرِ الشايِ مُسوداً ، ومتسعاً لأكتافِ الجبالِ ، وللخرافِ البيضِ يؤنسها إذا حان ابتداءُ النحرِ

حيث يقهقه الأضيافُ ، حيثُ حديثُهم سَمَرٌ ، وحيثُ القِدْرُ إنْ ترفع فقد حانت مواعيدُ الطعامِ المشتهَى ..

لو أنّ وجهَكِ ذلك الأبدىَّ : متسعاً لهذا الليل يبدأُ مَرَّةً بالفصلِ بين الليل فى قممِ الجبالِ السودِ والشايِ المُراقِ .. لَوَ انَّهُ بالرغم مما فيه من لغةِ السماء يقوم يفصلُ مرّةً ليلاً بدمٍّى ، لانطلقتُ مُحَرَّراً بين الخرافِ البيضِ والشايِ الغريبِ بساحةِ البدوِ الكبارِ السنِّ والبدوِ الصغارِ السنِّ .. لو أنى أُحَرِّر مَرَّةً ليلى لفرّقتُ الحروفَ من اسمهِ ، وبدأتُ باللونِ القرنفلِ ذلك المولودِ فى صدرِ السماءْ .

سكبتْ يداىَ الشاىَ ، واتسعَ القرنفلُ ، وجهُكِ الرقراقُ يزهو .. والتفتُّ : وجدتُّ عبر الليل وَجْهَ سمائىَ السمراء يأخذ لَوْنَه من لونِ وجهكِ ، وازدهَى اللونُ الجديدُ قرنفليا حاملاً لغةً تهُزُّ مقاعدَ البدوِ الطويلةَ تحت صمتى ، وجهُك الوضاءُ يسكب من دمى الشاىَ الصَّدِىءَ وسُمْرَةً لطمت جبالَ الليلِ ، يسكب من دمى ميعادَ ذبحِ الشاةِ ، ها أنذا أهبُّ محرَّراً متملّكاً

لخطایَ .. آهٍ .. أیها العشقُ الجمیلُ .. محرراً أهوَی ، أُقَلِّبُ قلبیَ الرَّحَّالَ بینَ مدائنِ العشق ، احتملتُ مسافةَ التَّرْجالِ ، کان بقلبیَ الزمنُ ابتداءً دائما للعشقِ ، أبدأ - کلما انبثقتْ سمائی بالرحیل - الحُلْمَ ، أَبْقی فی القرنفلِ عشقیَ الظمآنَ ، یُبْقِی وجهُكِ الوضاءُ أسماءَ القرنفلِ ، فاحتوِی قلبی ، فها أنذا عشیقاً : فی عیونی وجهُكِ المعشوقُ متسعٌ وممتدٌّ علی زمنی ، وکفِّی فی المساءِ تشارك الشاةَ الذبیحةَ حُزْنَهَا المطروحَ عبر ولائمِ البدوِ الکبارِ السنِّ والبدوِ الصغارِ السنِّ ، تمتدُّ المسیرةُ فی الجبالِ .. فإننی ضیفٌ

(ویَبْقَی فی دمی میعادُ ذبحِ الشاةِ یُرْعبُنی ، یذکّرنی بمیعادٍ سیأتینی - بأمسیة - ویطرحنی ، أقدَّمُ فی الولائمِ للضیوفِ القادمین علی جناح الغیمِ ، بعد أن اقتطعتُ - أکونُ فی ذاك الزمانِ قد اقتطعتُ - الأسودَ الملصوقَ فی صدرِ الجبالِ السُّودِ منصوراً .. وبَعْدَ الشایِ مسکویاً)

یَظَلُّ الذبحُ خوفاً باقیاً .

* * *

بدويَّةٌ ترنو إليَّ ، فأرفع العينين للوجه القرنفلِ حانياً مستلهماً عبر الفضاء الرَّحْبِ وَجْهَكِ ، يَشْدَخُ المزمارُ فى ليلى حنينَ الناي ، أدعو وجهَكِ الرَّحْبَ ابتعاثاً فى سكونِ الليل أدعو وجَهكِ الداعى ، فينبعثُ القرنفلُ فى طريقِ العَوْدِ من قلبى ، أعود إلى ارتقابِ البَدْءِ فى سكنى ، فَأُبْعَثُ فى الظلامِ قرنفليّا ، تاركا خلفى مساحاتٍ من البدوِ الكبار السِّنِّ والبدوِ الصغارِ السنِّ ، مرتقباً يعود الوجهُ ، يشرق فى ليالى الصمتِ صوتاً صافياً مترقرقاً ، متألقَ الأرجاءِ ، يُعْكَسُ فى السماءِ قرنفليًّا .. فارقبى صوتى .. أنادى فى زمانِ الذبحِ مرتقباً صعود الوجهِ فى ليلى بهيًّا ، بادئاً عمراً جديداً ، ليس فى تاريخه ليلٌ - بعيدٌ أو قريبٌ - ذابحاً سيجىءُ ... أهربُ من مساءاتِ المآدب ، أرتمى فى مضجعى هَرَباً غريبا من زمان البدوِ ..

وجُهكِ موعدى ..

تتزيّنُ الأيام علّكِ ترجعين ..

فتذبحينَ الذبحَ ...

علّكِ ترجعينْ .

الترحال
بين البوابات السبع

(كنت أرى الأسبوع

بوابات سبعا · شوقي دياب)

أضمُّ على يديكِ يدىْ
وأستبقيكِ - حينَ وداعنا - لحظه
شتاءُ البحَرِ يدعو وجهَك المراحَ .. كى يجرى إلى رئتىْ
وأستبقيكَ - حين وداعناَ - لحظه
ستنبتُ فىَ الأسى الأحزانُ ،
تطرحُ فى الدجى بوماً وغرباناً
وأستبقيكِ - حين وداعنا - لحظه ..
وأستبقيكِ - حينَ وداعنا - لحظه ..

* * *

يغنّى جندُكِ الأبطالُ فى جـوفِ القطاراتِ القـديمةِ - لاصطفاقِ الباب فى وجهِ الإجازاتِ القصيرةِ - أغنياتِ الُحلْمِ والدمعِ التـجَمـِّدِ فى العـروقِ ، يحاولون ، ويبسـمون لوجهكِ الفـضىّ يفـرشُ فى الظلام عـبـاءةً .. ويرون أنكِ وردةٌ أبديةٌ .. ويشقّقون لكِ المغيبَ ، ويغزلون من النجوم غناءهم ، ويراقصون مـواسمَ الفـقـراءِ تحت النورجِ المجنونِ ، يصطفـون ماذا أحضر السجانُ فى هذا الغداءِ ؟؟ .. ويـخـرجون .. الشمسُ والكافورُ والأسلاكْ والبوابةُ الحمقاءُ والرملُ اللعينُ وأوجهُ البلهاء .. كيف نموتُ ؟؟! .. خبزُ اليومِ أم خبزُ الغدِ المدفونِ تحت عباءة الليلِ ؟؟ .. استراحوا فوق صدركِ ، عَلَّ صدركِ ضمَّ حُلْماً طيباً .. وأنا : أنا معهم .. وأستبقيكِ - حين وداعنا - لحظه .

* * *

تعالىْ .. فانظرى .. فنوافذُ الفقراءِ ليست كالنوافذ ، والقلوبُ المجـهـداتُ على رصـيفِ الحـزنِ تصطفُّ انتظاراً ، كى تجىءَ الحافلاتُ ، فتحمل اللحمَ المكوَّمَ ، ثم ترميهم فُرَادَى فى البيوتِ الراكعـاتِ ، وأنتِ لا تدرين يا قدسـيةَ العينينِ ، ليس بقصركِ

العُلْوِيّ حلم زارهم .. وأنا

أنا معهم .

وأستبقيك - حين وداعنا- لحظه .

* * *

تعـوّد قلبيَ القُـزَحِيُّ أن يرتاح في عـينيـكِ ، يحـملَ من ضـيـا الأحـلام حلمـاً للغـدِ المنفيِّ ، لكنَّ الأسى يدعـوه للتـرحـال ، فاستبقيه حين وداعنا لحظه .

وغنّى لى ..

أَخُبْزُ اليومِ أم خبزُ الغدِ المدفونِ ؟ ؟

غنّى لى

لعلَّ الحلمَ فى عينىَّ يُفْرِخُ بينهم حُلْماً

وغنّى لى .. أنا معهم

وهم :

فى قلبىَ الباكى على كفّيك ..



مسافة الغيرة

.. وأنت تداعبين الأمس

اليومُ رجرجه رجوعُ الأمسِ فانتبهى ..
لقد جاءوا على الأبوابِ فانتبهِى ..
يريدون الحقولَ خليلةً ،
تحسو بحارَ المِلْحِ ... فانتبهى
ضحكتِ .. وما أفقتِ
صرختُ فيكِ .. وما أفقتِ
صفعتُ وجهَكِ .. ما أفقتِ
ورحتِ فى الأمسِ الذى قد راحَ ،
رُجْرِجَ يَوْمُنَا ، فهوَى ..

ركضتُ تشدّني الطرُقاتُ ، يخنقني الزحامُ، ترجّني الأضواءُ مُشْعَلَةً ومُطْفَأةً ومشعلةً ومطفأةً .. وتعدو فوق صدري صرخةُ العجلاتِ ، تلكمني المتاجرُ ، يجدعُ الأنفَ انفراجُ اليومِ عن أمسٍ يعودُ الآن مفتخراً .. مهانٌ جلديَ المشدودُ ، مشقوقٌ لسانُ الحرفِ ، تهزأ بي علاماتُ المرور ، تلفُّ أوردتي على نحري ، وتُعْقَدُ في يد الطرُقاتِ ، أركض خلفها ، تنشقُّ في عينيِ السماءُ إلى يديْنِ كبيرتيْنِ تعصّران القلبَ حتى أنزِفَ الكلماتِ من جفنيَّ جعدني احتلالُ الملح ياقدميَّ . اركض في عروقي ، ليس يوقفني سوى موتي ، نظرت وجدتُ وجهَكِ لم يزلْ باللَّوْمِ يلكمني .. لماذا ؟؟ .. كنتُ أصرخ فيكِ لكنْ ما أفقتِ ، وكنتِ تفتخرين بالحلم الذي يأتي .. وها هو ذا أتاكِ الأمسُ ، ما فكرتِ في اليومِ الذي يهوِي .. أفيقي ..

لم تعد إلا بقايا من لساني ..

ربما يأتي غَدُ ..

فأكون أول من يبشِّرُ وجهَكِ – الناسي – بهِ

يا من ضحكتِ .. وما أفقتِ

صرختُ فيكِ .. وما أفقتِ

صفعتُ وجهَكِ .. ما أفقتِ

ورحتِ في الأمس الذي قد راحَ ..

أُرْجِحَ يومُنا .. فهوَى ...

وأنتِ تداعبين الأمس في فَرَحٍ يُدَلِّلُهُ ..

وفي غضبٍ عليّ ،

دخلتُ في عينيّ ..

ثم سحبتُ فوق ملامحي جفنيّ ..

علّي أرتمي في القلبِ ،

علّكِ لاترين الموتَ في عينيْ.

حينما ركض الجواد القديم

فجأةً طَرَقَتْنِى المطارقُ ..

يركض بين ضلوعى جوادٌ عنيدٌ ..

فأركض ، أرمى بنفسى من النافذه .

* * *

والنوافذُ كانت سماءً تُطِلُّ على البائعين

ينادون ؛ أُدْلِى إليهم من النافذه :

سَلَّةً .. وبها قِلَّةٌ من قروشٍ ..

وأرفعها .. وبها حفنةٌ من رضاءٍ وحلوى

فآخذها .. ثم أجرى لأمّى

فتبسم لى .. حين ترقبنى راضياً بالذى فى يدىّ .

* * *

والنوافذُ كانتُ وجوه البناتِ إذا ــبتسمتْ واعده
فيركض عبر العروقِ صهيلُ الفتوّةِ ،
يَبْسُطُ عبر الخلايا حقگلا
ويرسمُ فى المقلتينِ زماناً جميلا{
فأرقب وجهاً يعود من المدرسه
يدسُّ!وكفِّى خطاباً صغيراً
فأجرى إلى البيت أقرأ .. ثم أعيد القراءةَ
منتشياً .. راضياً بالذى فى يدىُّ .

* * *

والنوافذُ كانتْ عيونِى تطلُّ ،
تريد اختراقَ المَدَى غاضبه
أتمنى لَوَ انَّ الذى لستُ أدركه : فى يدىْ
كانت القدمانِ تريدان درباً جديداَ
وكنت أريد هواءً جديداً يجىءُ إلى رئتىَّ
ولوناً جديداً يجىء إلى مقلتىَّ
وما عدتُ - فى لحظةٍ - راضياً بالذى فى يدىّْ .

فرميت الذى فى يدىَّ ...
وجئتُ إليك
نسيتُ النوافذَ حين استقر فؤادى على راحتيكِ تَدَفّـاً فى قبضتيكِ
وكان بصدرى جوادٌ عنيدٌ قديمٌ ..
ربطتُ سنابكَهُ فى انحناءةِ ضِلْعٍ ..
ليِخْلَى عبر الضلوعِ مكاناً ..
لأزهارىَ الطالعه
ونسيتُ بكِ النافذه
ورضيتُ بعمرىَ فى راحتيكِ
ولكننى قد وجدتكِ فى لحظةٍ
غيرَ راضيةٍ بالذى فى يديكِ ،
علمتُ بأنكِ يوماً سترمين بى
فوقفتُ .. وفى أضلعى طعنةٌ نافذه
فجأةً .. طَرَقَتْنى المطارقُ ..
كان جوادٌ عنيدٌ يهشِّمُ صدرى
ويركض ، أركض .. أرمى بنفسى من النافذه
والنوافذُ .. كانت سماءً تُطلُّ على العابرينْ .

فزاعة الطير

- (من الذى أقامنى فَزَّاعَةً للطيرِ فى هذى الحقولْ ؟!

كنتُ أتيتُ أحمل الغيمةَ فى جيبى ..

وأحملُ البذورْ

وكنتُ أرجو أن أكون جدولاً ..

فأساً ..

نسيماً

سنبله

فمن تُرَى أقامنى فزاعةً للطير فى هذى الحقولْ ؟!!)

- ألهذا جاءتْ بى كَفَّاكِ ؟؟

هل هذا دَوْرِى فى حَقْلِكْ ؟؟

ولماذا ليس تهبُّ الريحُ ، تطيحُ بهذى المزَقِ الموضوعةِ فى كتفىَّ ، لماذا لا تُسْقَطُ عن رأسى قبعتى لتعرِّى أخشابِى .. أين الصاعقةُ الرعناءُ ، لماذا ليس تجىءُ لتحرقنى؟! هبُّى ياكلَّ رياحِ العالمِ ، لابد وأن أَخْلَعَ يوماً من هذا الحقلِ ، فإن كلاباً يمكنها أن تُفْزِع هذا الطيرَ ، كلاباً يمكنها أن تلعب هذا الدَّوْرَ التافهَ .... فأنا فى دمِّى حُلْمٌ بالعَرَقِ الساقى البذرةَ ، حلمٌ بالنوار ..

أجيبينى ، كيف خلعت ثيابى عنى ، كيف حكمتِ علىّ بهذا ؟؟

انتظرى .. لابد وأن تستمعى لى .. لابد وأن أحكى .

-(تخاصمت أصابعى

تخاصمت عيناى

تخاصمتْ أذناىْ

والتصقتْ شفتاىْ .

لكنْ تجّمعتُ .. لكى أنفجراَ :

من الذى أقامنى ..

فزّاعةً الطير فى هذى الحقولْ ؟؟!)

* * *

- يوماً .. حين يدبُّ السوسُ بأخشابى .. وتجىء الطيرُ تعشش فى قبّعتى ، تُلْقِينَ بعظمى فى بطنِ الفرْنِ .. لهذا أدعوك : دعينى أشرب من مائى المحبوسِ بكفيكِ لعلّى أنْبُتُ ، تمتدُّ جذورى فى الأرض .. وتتفرّع فىَّ ذراعاى .. وأطرحُ لكِ ما تهوين من الثمرِ الطيّبِ .. لكنكِ : مازالتْ عيناكِ على الطير ، ومازالتْ عيناكِ على الحَبِّ دعينى أُثْمِر لكِ ، إنى أدرى ما لا تدرين ، الغيمة قد وعدتْنى ، ويكفىَّ بذورى ..

فدعينى أنبت .. أرجوك ..

دعينى أنبت فى هذا الحقلِ ..

أنا لا أطلب أكثر من حقّى .

كان النخيل على ترابك ينحنى

بصوتٍ باهتٍ قد جئتُ هذا الجمعَ ، أثقبُ أمسياتِ اللونِ قَطْرَاتٍ من الحبرِ ، ارتشفتُ حروفُ دربى عائداً من يائها ، مزّقتُ ما جّمعتُ من أيامىَ الذهبيةِ ، انتفضتْ جسورُ الحُلْم من صوتى إلى صمتى .

أتطرح عبر هذا الموسم الأشجارُ أحجاراً ؟؟

أتطرح عبر هذا الموسم الجدرانُ أنهاراً ؟؟

بصوتٍ باهتٍ قد جئتُ أدعو وجهَكِ المعشوقَ حين نظرتِ سائلةً وجوهَ الآخرين .. أنا الذى أدعوكِ (لن تجدى كعشقى) رغم أنى جئتُ ظمآناً أطلُّ بصوتىَ الباهتْ .

شهيدٌ مُفْردُ .. وقضيّتى خانتنىَ ، انتفضَ النخيلُ بصدرىَ المشقوقِ ، فانحنت الضلوعُ له وصفّقت الخلايا ، سابقتْ فى قلبىَ النبضاتُ أنفاسِى ، تجّمعت الدموعُ بمقلتىٍّ (هو انتظارُ النصرِ) دمدمت الشرايينُ ، اشرأبتْ نأمةُ فى الرأسِ ، ماستْ زهرةُ فى العقلِ ضاحكةً ، تأهبت الكفوفُ لكى تصفّق .. فجأة :

كان النخيلُ على ترابكِ ينحنى ..

شُقّتْ ثيابُ الفجرِ ولولةً ، زهورُ تلطم الخدّيْن ،، أحجاررٌ تجيءُ الآن رجماً فى عروقى ، تسقط الآهاتُ قُطْرَاتِ من الحبرِ ، ارتشفتُ حروفَ دربى عائدا من يائها وحدى .

إليكِ الآن أوسمتى ..

تباهىْ بى إذا التفّتْ رفيقاتُكْ

إليكِ الآن قلبى فاشنقيه

كما اعتاد .. ابتداءً باشتهاءِ الحُلْمِ حتى الرَّجْمِ ..

والتفّى على نحرِى . ،

عيونى فى ابتداءِ النومِ ..

تستجدى انتهاءَ الصومِ ..

تسقيها حكاياتُكْ

وأسْقِي وجهَكِ المعشوقَ - من عينى - عصيرَ القلبِ ، أمنحُه عيونَ الحلم ، أسأله ، يجيب الحبلُ ملتفاً على نحرى .. فأجرى فى صحارى العمرِ ، أجرى ظامئاً للسرِّ أجرى تسقط القدمان فى بئرٍ من الأصواتِ ،

أخرجُ حاملاً من بينها صمتى ..

أعانقُ صوتىَ الباهتْ .



وأنا ذنب الأيام

عاداني الرِّيُّ وعاداني الشَّبَعُ

وبكى الوَجَعُ

فحملتُ طريقي فوق الكِتْفِ ..

وسرتُ إلى حلمٍ يوسع لى عمراً ..

فى هذا العمرِ ...

ولكنْ : ضاق المتسعُ .

أخرجُ للشمسِ المجنونةِ ، أفقدُ مائىَ ، أفقد ظِلَّ السنواتِ الخضراءِ ، فأشبح فى عمق الشمس ذراعىَّ .. وأبقَى منتظراً وجَهكِ يأتى بالأيامِ السمحاءِ ، أظل طريداً ، أرفض إلا أن

تأتينى (يمنحنى وجُهكِ أمطارَ العمرِ ويمنحنى الحقلَ السَّحْرِيً)
أموتُ وقوفاً .. أتيبّسُ ، أنزف ما فى غيماتى من قمحٍ ،
يأتينى زمنٌ لا يرحمنى ، فأعانده ..وأنا أعلم أنى ذَنْبُ
الأيامْ .

* * *

وطنى وجُهكِ ، أحمله فى قلبى .. وجُهكِ حلمٌ عذبنى ، سَكَنٌ
يعشقنى ، لكنْ يلقفنى من بَلَدٍ بَلَدٌ ، فأظل شريداً أبحث عنكِ
، وأدْخُلُ فى البحر فأخرُجُ موجاً ، أدخُلُ فى النار فأخرُجُ جمراً
، وأظل أُقَلّبُ ما بين الماءِ وما بين النارْ .

وجهكِ سرِّى ، عِرْضِى ، زمنٌ يقصيه الزمنُ
وجهك تاريخٌ أتملاّه ، بلادٌ من عشقٍ
وجهُك .. يا وجَهكِ ..
يالؤلؤةً باكيةً .. يا فاكهةً آتيةً ..
يا أياماً توغل فى أحراش الأيامْ
وجهك .. ياوجهكِ

يا أرضى ، يا مرساىَ ويافيئى
يا ذاكرةَ السُّحْبِ ، ويا ذاكرةَ الحقلِ ،
ويا ذاكرةَ الأحلامْ
أنتظر بلاداً تجمعنا .. حيث
(تجفُّ مآقينا .. وتلاقينا يُرْجَى)
حيث يكون بأعيننا صمتُ المنتصرِ
حيث نكونُ مواعيدَ المطرِ .

* * *

أخرجُ للشمسِ المجنونةِ جمراً ..
وأظل على سفرٍ حتى ألقاكِ ، أضمُّكِ فى صدرى
وأضُمكِ : بعناءِ سنين الغربةِ يسرى بين ذراعىَّ ، أضمُّكِ ملْءَ
البيتِ ، يعانق صوتك صوتى فى الضحكات الحرّه .

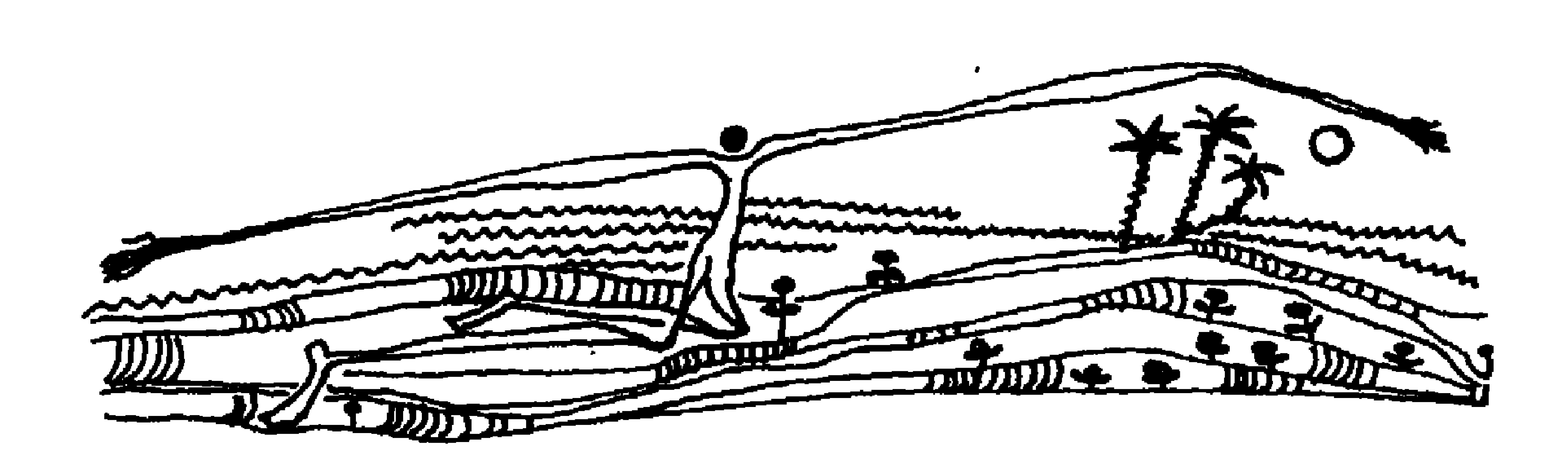
* * *

ليلى ينبش فى قلقى

يا ويل رحيلى ..

قدمایَ على الأرض تسيران ..

وعيناىَ على الأفقِ .



أريدكِ

أريدكِ لى ..

أريدكِ وحدى .

* * *

ونحصد من فوق جَبْهَاتنا عَرَقاً بالأناملِ ، ندعو فرادى ..
ويشرخنا الليلُ حين تموتُ المصابيحُ، نَحلم بالنار ، بالصلوات القديمة ، بالوجه حين يكون صباحاً طرياً وبالوجه حين يكون شهيّاً ، و بالوجه حين يهب من الليل مشتعلاً طازجاً .

ونحلم .. والحلم عاندنا ، حين نطلبه كوبَ ماءٍ : يجىء

لنا مُغْرِقاً ما ثجاً .

هنا يقفُ الصمتُ بين التَّفَجُّرِ والحكمةِ المستذلَّةِ ، تسندنا

جُذُرٌ من بلادٍ عتيقه

وندخل جوفَ المعابدِ ، ننسى تجاربنا ، غَيْرَ خيطٍ

قديمٍ بثوبِ الأماسيِّ ضلَّ طَريقه

وندعو فرادى ..

تدوس علينا البلادُ إذا ما فتحنا البلاداً

فتبكي البطولةُ فينا

وتسرقنا من جنونٍ احتفالاتنا - كلَّ يوم -

جراحُ انتصاراتنا .

* * *

أريدكِ .. فانفجري في الدماءِ التي تترجّل من بابِ قلبيَ ، شَعْباً يجوب شوارعَ هذي العروقِ ، يغنّي غناءً جديداً ويبكي بكاءً جديداً .. ويهتف في ساحةِ الثورةِ ، انفجري في الدماء براكينَ من قصصِ الأمسِ تمسك حاقدةً بخناق الغدِ المترهّلِ ، تَعْجُمُهُ ...

وتعلمه نارها.. وتسيل على الجرحِ كَيًا .. وترفع رايتها ساعداً من دخان يموت كجرحِ القتيل على سكتةِ المأتمِ ، انفجرى في سجون لياليَّ ، وانفتحى في جداريَ نافذةً .. وادخلى .. أنت سيدةُ الشمسِ ، تاجُكِ أصنعه من عظامى ، أرصّعه بعيونيَ ، أحمله باليدين ، اجلسى فوق عرشكِ ، كأسُكِ جمجمتى ، فاشربى من حكاياتها ما تشائين ، حارسُكِ القلبُ .. والقلب يعرف عنك الذى ليس يعرفه أحَدٌ ، إنه قبضةُ النار ، قنديلُ قصركِ لو شئت ، أو كُرَةُ السِّحْرِ ، أو فيلقُ من لهيبٍ يدمدم خلف أعاديكِ ، يحصدهم بمناجله اللهيبة ، تنزل صاعقةً ..

وأنا أحصد الآن من جبهتى عَرَقاً بالأناملِ وحدى

وأفتح في خطواتى بلاداً ..

لعلّى أجيئك مملكةً ،

لا تملّى غيابى ..

ولا تسأمى حين أدعوكِ أن تنصتى لندائىَ وحدى

فإنىَ نارُ ..

(وحين تكون النجومُ فرادى :

تَغَارُ)

ومن أجل أن تتضاحكَ عيناكِ كان الرحيلْ

وكانت جراح القتيلْ

وكانت زنازن ليلٍ ثقيل

فزورى بقلبك قلبى ..

(فقلبىَ : وَشْمٌ من النور فى ساعد الظلمةِ المستبدة)

علّى أرى وجهك القمرىَّ على سقفِ زنزانتى ، أو أرى منك قنديلَ صوتكِ إنى لأغمسُ صوتىَ فى قاع هذى العروقِ ..وآخذ مرتضياً من جراح انتصارى مداداً

لأكتبها لغةً تتفجّر فيها الحروفُ :

وتصطفُّ جيشاً إذا شئتُ ، تصطفُّ فوق الرصيفِ متاجرَ، أو تتناثرُ قمحاً .. وأرفعها جبلا ، أو أعمّقها هُوَّةً ، أو أفجّرها . فتفجّرنى .

* * *

أريدُكِ خارجةً من خطوط المسافاتِ
ضاحكةً في سكوتِ السنينْ
أريدكِ .. يَخْفُتُ صوتي
أريدكِ .. يَزْعَقُ صوتي
أريدكِ . . .
لا تسمعينْ .





مسافة العناء

تقاتل رأسيَ مطرقةٌ

أهوِى ..

تَمْـرُقُ فى رأسى أيامُ الجنديةِ بقطاراتِ البلدانِ المنفـيـةِ ، بمطارات بلاد النفطِ ، بشاطئك المرجوِّ ، شوارعكِ المعشوقـةِ ، أكوابِ مقاهيكِ ، لياليكِ السهرانةِ ..

أهوِى ..

يَمْرُقُ فى رأسى جِذْعُ نخيلٍ شابَ ، ولم يعرفْ طعمَ البلحِ ، انشقتْ كفِّى ، أفتقد الآن لياليكِ المعشوقةَ ، أهوِى ، أتخبَّط فى جدرانِ البئـرِ ، يواسينى جهلى ، أهوِى، تمرق فى رأسى سنواتٌ ، سَنَةٌ تحمل فأساً ، سنةٌ تحمل مطرقةً .. مطرقةً

مطرقـةً .. تهـوِى فى رأسى ، أتوالى حين تـوالت ، لكنّى هذى الليلةَ أهوِى ، يتـفـجّـر فى قـبـضـتـىَ الصـخـرُ ، تُجَنُّ على نحرى سكّينٌ ، لا أدرى من أىِّ جهاتِ الأرض تعـادينى أحيـاؤك أنشقُّ على كفيكِ رغيفاً مبتوراً ، لا أملك أكثر منى .

أعطيتُكِ عينِى حين نزلتُ إلى الخندق ، أعطيتُكِ عينِى حين رمانى السلكُ الشائكُ بين ذراعيـهِ ، أغمضتُ على وجهكِ عَيْنى حين أُمِـرْتُ بإطلاقِ النارِ بعينٍ واحـدةٍ أعطيـتُكِ وجهى من نـافذةِ قطارى حين ارتجّتْ فـوق القـضـبـانِ قطاراتُ السـفـرِ الليـلىِّ ، لتـأخذنى لبلادٍ يشربنى فيـها الصـهـدُ ، يعـاندنى فـيـها المقهى المطعمُ ، أعـطيتكِ دَمِّى عبر بلاد النفط .. سـخـوتُ بأحـلامى حتى جفَّ الحَلْقُ ..تشقّق ، أعطيتُـكِ صوتى فى بلدتىَ البحريةَ ، صوتىِ : هو ما أبقيتُ من الترحالِ ، أنادى ..

يرتـدُّ صـدىً ، فـأنـادى مـجنونـاً .. يرتدُّ صـدىً ، أهوِى .. تلطمنى سَنَتِى مطرقةً ، أهوِى ، أهوِى ، يصّاعد من عينىَّ دخانُ القلبِ ، تصـارعنى أسمـاءُ الأشـهـرِ ، تلتفُّ على نحرِى أرقـام أجلها .. أهوِى ، يزعق فى أذنىَّ البورىُّ ؛ أهبُّ ، تلاقينى فى

الباب رصاصاتٌ تخترق البسمةَ فى وجهى ، تقسِمنى عجلاتُ قطار مجنونٍ ، يُلْقِى بلسانى فى صحراءِ النفط ، تدوس على قدمىَّ شوارعُكِ البحريةُ ، أهوِى ..أهوِى .. تنحشر بحلْقى مطرقةٌ ، تقصفنى سكينُ ، أتعلّق من قاعِ البئرِ بحبلِ صَدَاىَ لعلّى أرتدُّ إلى صوتى ..

أتعلّق .. أصعدُ .. أصعدُ ..

يمرقُ فى رأسى صوتى خيلاً جامحةً تهربُ من مطرقةٍ فى الدربِ تطاردها ، تهوِى بالأيام على رأسى .. أهوِى فى رأسى ..

حينَ أقومُ : أقومُ وحيداً عرياناً

لا ألقاكِ ...

فأخفى جسدِى فى رأسى

أبكى ..

تضحك مطرقةٌ منّى ..

تتركنى وحدى .

غليــان

أَغْلِي ...

من فَجْـرِي حتــى لَيْلِي ، من شَعْـرِي حتى نَعْلِي ، أغلِي ، تتطايرُفي جمجمتي عربـاتُ قطاراتٍ ، عجلاتٌ ، خيـماتٌ ، أكوابُ ، تتطايـر أثداءُ ، آذانٌ ، أكبادُ ، تتطاير في جمجمتي أسلحـتي من سيـفي حـتى قنبلتي ، تتطاير خيـلي ، يتطاير تاريخي من عَفْوِي حتى غِلّي ..

أغلِي .. أغلِي ..

أخلع آخرِ أثوابي ، أجرى في طرقات أجهلها ، منتظراً أن يرتطم الَجَسدُ الأعمى ، يتفتت فوق جدارٍ : يرقبني منذ تعلّمتُ

الَحبْوَ ، يتابعنى ، يترقّبنى ، منذ أتيتُكِ بالفلِّ وبالكحلِ، ومنذ جمعتُ من البلدان الملعونة أجزائيِ ، لأجيئك كُلِّى ، فإذا بكِ تقضين الوقتَ ، أناملُكِ الصابرةُ تفتتنى جزءاً جزءاً ، والجزء تفتّته ، وأنا منشغلاً كنتُ أحررِّ وحدى قدميَّ من الحبلِ ، وحين أفقتُ تهدّمتُ أنقِّب عن جزءٍ من كُلِّى ..

أغلِى .. أغلِى ..

خَفَّتْ جمجمتى ، نصفُ تواريخى يتطاير منها ، لم يبق سوى ماشئتِ ، أنا ماعدتُ أشاء مشَيئَتَكِ ، الثورُ الدائرُ حول محيطِ رغيفٍ تتفجّر فيه الآن برارى تعرفه ، لاتهتَمُّ بتهذيبِ الياقةِ أو كَيِّ المنديل ، ولكن تمتدُّ لركضٍ لا يتوقف ، أنتِ حَصَرْتِ الركضَ ، غدوتُ عيِّياً أركض فى عينى ، حتى تلفظنى أجفانى ، أهوِى من صبرِى حتى ذُلِّى ..

أغلِى .. أغلِى ..

حاصرنى غضبى ، أبحث لكِ عن مأوىً فى ركن ضلوعى ، ينهرنى غلِّى ، يحملنى من قدميَّ ، يطوِّحنى ، يُلْقِى بى منغرزَ

الرأسِ ببركانٍ يغلي ، يخرجني يغرزني أغلِي ، يخرجني
أتنفس يغرزني أغلِي ، يغلِي رأسي .. صدري .. قدماىَ ..
أظافرُ كفّى تغلِي ، ظلّى يغلِي ..

أغلِي .. أغلِي ..

أرتجُّ .. وأنتِ تقومين على مَهَلٍ ..

لتعدّي كوبيْنِ من الشاىْ .



الجـــدار

تمخّضت السنواتُ ، اعتصرتُ السماءَ أَقَطِّرُهاَ نجمةً نجمةً في عروق المسافة قشّرتُ عن عينيَ الأفقَ ، انفتحتْ كُوّةٌ في الجدار المعاند ، سرّبتُ قلبيَ ، هرّبتُه نبضةً نبضةً ..

هل أتاكِ ؟؟ .

تَحلّقَ حولي الجدارُ تمدّد فوقيَ تحتيَ جَنّنَني ، لا الحوائطَ أربعةٌ حول عينيّ ، لا السقفَ سقفٌ ، ولا الأرضَ أرضٌ ..

جدارٌ ..

جدارٌ ..

جدارٌ ..

صفعتُ الجداراَ.

ركضتُ على حافـةِ الليـلِ مـختطفـاً مِزْقَـة من عبـاءتـهِ (إن عُـريَكَ ياليلُ بَدْءُ خُطَاىَ) اخـتـرقـتُ الجـذوعَ ، احـتـملتُ الفجاءة ، أيسرتُ ، أيمنتُ، أذعنتُ للركضِ فى قدمىَّ ، انفجرتُ على الطُّرُقِ ، انحدرتْ عرباتُ التساؤلِ تقذفها للسفوحِ خيولُ جنونيةٌ الركضِ ، أسلمتُ رأسىَ للعصبِ المترددِّ بين التـواريخ والغدِ، فُتُّ ، اخترقتُ الصهيلَ إلى اللحظةِ الموقده .

صفعتُ الجداراً .

تحمّلتُ عِبْءَ التَّفَرُّدِ، أيقنتُ أن المواعيدَ قادمةٌ حين يزدحم الرأسُ بالأمكنه .

تبختـرتُ حرفاً على صفحاتِ الكتابةِ ، أجهشتُ حتى اغتسلتُ ، وأجهشتُ حتى اشتعلتُ ..

صفعتُ الجداراً

ركضتُ ، تعثّرتُ بالزمنِ المنتهِى ، صاعداً منذ قاع المسافةِ عبر سنين التساقط أحمل أغنيةً خفق القلبُ بالنبض فيها ، فحمَّلتُهاَ القلبَ ، هرّبتُه .. هل أتاكِ ؟؟

صفعتُ الجداراَ

وهرّبتُ جسمىَ من سَفَرِ الطُّرقَاَتِ الرجيمةِ ، أبعدته خطوةً خطوةً ، وفُجِعْتُ بتاريخك المُرِّ ، تُبْتِ ، غفرتُ إلى أن أُسِرْتُ . . نظرتِ إلىّ - تموتين - من ثوبِ سَبْيك حتى لجامِ جوادى ، ترجّلتُ .. ثم ترجّلتُ حتى هويت .. وغصتُ بنصفىَ فى الطَّمْيِ ، وانفلتتْ نظرةٌ نحو شرفتِك المرمرية : كنتِ اشتهاءً وتاجاً .. وثوبا شجياً .. وهُدُبا سخياً .. وكنتِ الأميره .

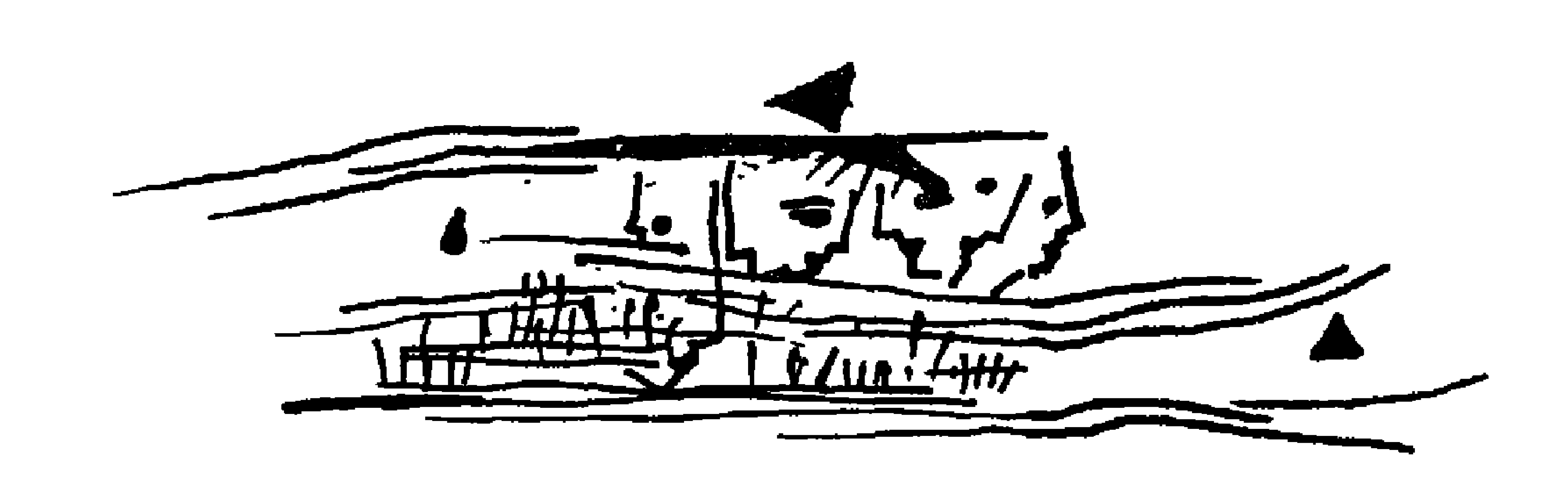
وكنت أغوص بنصفىَ فى الطَّمْيِ

متُّ .. أكلتُ حذائىَ ، خلعتُ من راحتى خَطَّ حَظِّى وبَدَّلْتُ رأسىَ أمحو البلادَ الوجوهَ الزمانَ القديمَ ، مَزَقْتُ الخريطةَ ، صَلَّبْتُ فيها الخطوطَ ، وجُرِّعْتُ - كرهاً - محيطاتها .. وابتدعتُ سماءً من الندمِ المتواصلِ ، شُجَّتْ رؤوسُ الحروفِ ، تعلّقتُ فى آخر الياء منتحراً ، أتأرجحُ .. أوصلْتُ قاعَ حروفي بِقِّمةِ صمتى .

صفعتُ الجداراَ

تساقطتُ أنملةً إثْرَ أنملةٍ ، تمتمتْ ، شهقتْ في عـروقي أغنية الندمِ المتـواصلِ ، هل تشـرئبُّ العـروقُ من الجلدِ ؟ تكتـسح الآن غـابةَ حلمي وحـوشُ التـرقُّبِ ، تزأر .. ، تركض للخلف منِّي خيـولُ التساؤل ، تـنتثرُ العرباتُ القديمةُ من قـمـةِ الجبلِ ، انطفأ الدمعُ ، أكتـشفُ الآن تعـريجةَ الـندمِ ، الآن ينشقُّ ثـوبُ المواسمِ ولولةً ، أتساقطُ محترقاً ، أتشقق منهما .. والجدارُ :

تمطّى ليصفعني .



هذا ما حدث
فى الناحية الأخرى للحائط

أُقْطَعُ نحرِى ،
أحمل رأسِى فى كفِّى ،
أقذفه فى الناحية الأخرى للحائط ،
مستنداً أجلسُ .. ألهثُ .. أرتاحْ .
إستنفدتُ تراتيلى .. صبرى ،
مزّقتُ بقايا أوراقى
أتعبنى رأسى
وقَطَعْتُ وحيداً دربى ..
وجلستُ عييًّا :

نصفي يأكل نصفي .

أوسمتى لا يتذكّرها إلا أعدائى

تتلاشى ذاكرتى ....

فى الناحيةِ الأخرى للحائط قاعُ البحر ، عوالمُ تبدأ ، كان الخيطُ الأسودِ فى الخيطِ الأبيض ، كانت كلٌّ وجوه الأحباب فناجينَ القهوة ، فى هذى الليلة مجنوناً كَفَرَ التاريخُ ، تمزّق فوق المذبح ، شَقٌّ الثوبَ ، تهاوَى فى الدرب عجوزاً مفقوءَ العينين ، عييًّا مشلولَ الشفتين ، تراقصَ رأسى حَمَّلِنى نَدَمِى ، يُتْمِى ، حَمَّلِنى حرمانَ الأعوامِ من الصبح ، تراقص ، ألصقنى بالأرَقِ ، احتدَّ ، علىَّ ، يُطَوِّحُنِى بندولاً ، يبسطنى قفراً ، يسكبنى حبراً ، يوقفنى صمغاً ، يُغْمِدُنى ثأراً ، يطفئنى قنديلاً ، يسحب من حنجرتى أوردة القدمين ، يكوِّمنى ،

يُطْلِقُ حزنىَ صقراً ملتقطاً أفراخَ النبضاتِ على باب القلب ، يسابقُ ، يعلو ، ينقضٌّ ليبلعها فرخاً فرخاً ، يفقس يأسى فأنا : أتعبنى رأسى .

فى الناحيـة الأخرى قاعُ البحـرِ ورأسى يحتدان ، سَيُتْعِبُ أحدُهمـا الآخـرَ ، يُلْقِى أحدُهمـا بالآخرِ لى ، أجلس ، خـانتنى قـدمایَ ، تيـبّستُ ، تجمّد دَمِّى فى نحرى ، يصفعنـى الليـلُ ، يلـفُ علـى حنجـرتى الخـيطَ الأسـود فـى الخـيـط الأبيـض ، يسحبُ من خمرِى كأسىَ ، ميعادَ السَّكْبِ ، يقهقهُ ، يَسْحَبُ من أنفِ توابلىَ الرائحـةَ الطَّعْمَ ، يقهقـه ، يسحبُ من عـينىَّ اللونَ ، أقـهقه ، أسـحبُ منه الثـوبَ الأسودَ ، أسحب منه الأزرَقَ ، انشقَّ العامُ عن الخوفِ الرابضِ ، أسحب قهقهتـى فى نرجيلةِ صدرى ، أنـكمشُ ، ارتدَّ النهـرُ إلى منبـعـهِ هذا الموسمَ .. فى الناحـيـةِ الأخرى للحائط قاعُ البحر ورأسى ، خوفى من قدمىَّ الباليتين ، سَيُلْقِى أَحَدُهُماً بالآخرِ لى ، أوردتى : تنحشر كرات دمائى فيها ،تبكى من كفى الخاويتين ،سيلقى أحداهما بالآخر لى ،تتوالى كلُّ فناجين القـهوة تسكبنى أرتجُّ ، سيلقى أحدهما بالآخر لى ، لو رأسى عاد سيقتلنى ، ويجرِّعنى البلدانَ ، سيلقى أحدهما بالآخر لى ، يشهد لى مفقوءُ العينين ، سيلقى أحدهما بالآخر لى ، أحتجُّ ، سيلقى أحدهمـا بالآخر لى ، أحتـدُّ ، سيلقى

أحدهما بالأخر لى ، أنهدُّ ، سيلقى أحدهما بالآخر لى ..

يُلقِى أحدُهما بالآخر ..

يلقى أحدهما بالآخر ..

يغرقنى قاعُ البحر .



ســقوط الأوج

دُنْيا في رأسي ترتجُّ
كنخيل لم ينجبْ .. أو
كمراكبَ لم تبحر .. أو
كسقوط الأوْجْ
دنيا ترتجَّ

*   *   *

صفعتني الشمسُ ، قطاراتٌ تتسابق في جمجمتي ، تركض خلفي ، تدهسني ، تنشقُّ عيوني أقواسا ، تتعدّد فيها صورةُ هذا العــامِ مــــشــوَّهَةً ، ينشقُّ لســـاني تحت الأضـــراسِ

(شَرَاشِيبَ) ، تُضَخُّ إلى نحرى عربات ُ قطارٍ تخرج من قلبى زاعقةً ، أفزع ، أركض ، تركض خلفى ، تدهسنى .. تدخل تحت أظافر أقدامى ، تدخل تحت أظافر كفىَّ ، تُسَابقُ نَبْضَاتِىَ ، تسرى فىَّ ملاحِقَةً أنفاسىَ ، ترتجُّ العجلاتُ على أوردتى ، أرتجُّ ، أسابق أهدابىَ ، أركض ، تهدُر فىَّ قطاراتُ ، أركض ، تركض خلفى ، تدهسنى ، تدخل فى أذُنِى زاعقةً بصفير مجنون .. تووت ... تووت .

صلصلةُ العجلاتِ ترجُّ الحىَّ ، جلستُ على كرسىَّ الخائفِ ، كانت مكتبتى فى الحجرةِ ، كانت منضدتى ، أشيائى ، كنتِ على المضجع ناعمةً ، تسقين الساعات الظمآنة ثرثرةً ، كانت صلصلةُ العجلات تزلزلُ جدرانَ الغرفة ، أرقبُ فى صمتى حرفاً يخرج من شفتيكِ يخالف كل الأحرفِ ، يَخْبِطُ فى الحائط ، يرتدُّ إلى نافذةٍ مغلقةٍ ، مرتطماً بالأشياء الواحد بعد الآخر ، حتى يتعثر فى وجهى : يصفعنى ، كنتُ وحيداً أتعلّقُ فى سَقْفِ سمائى ، منهزماً كالقمح المتعفِّنِ ، منهزماً كالماءِ الآسنِ ، منهزماً كالجرح ، أجمِّعُ ما يتكسَّرُ منّى ، تسرقه الأيامُ المسْجونةُ

في جمجمتي ، تركض ،أركض ، خلفَ الإصباح الإمساءِ ، الأيامْ توالتْ سلسلةً ، تهوِى فى رأسى صلصلةٌ كالفأسِ تشق كراتِ دمائى ، تخرج منها عجلاتُ قطاراتٍ تركض فى جمجمتى ، أركض تركض ، خلفى ، تدهسنى زاعقةً بصفيرِ مجنون .. تووت ... تووت .

ما عاد بعينيكِ الساحرتينْ دوائى ، دائى : دنيا ترتجُّ وأنت بهذى الدنيا ترتجينَ ، محطاتُ قطاراتى قتلتْها كلماتُ الندمِ ، انشقّتْ كلُّ الأشياء ، انشقّتْ كلُّ الأسماء ، أدقُّ برأسى فى جدرانِ الغرفةِ حتى تتفجَّرَ أوردتى ، وأدقُّ أدقُّ برأسى حتى تتفتّتَ جمجمتى ، تتناثر منها عجلاتٌ ، عرباتٌ ، وقطاراتٌ تركض ، تركض ، ترتجُّ الدنيا ..

ترتجْ :
كَنَخيلٍ لم يُنْجِبْ .. أو
كمراكبَ لم تبحرِ .. أو
كسقوطِ الأوْجْ
دنيا ترتجّْ .

أدعوكِ الليلة

عَلِّمْنِي ما لا أعلمُ ..... أو فاصمتْ .

* * *

تتفجرّ أرضٌ ، تتناثرُ أشجاراً أحجاراً ، تتقاتل فيَّ تواريخُ تُعَنِّفُنِي منذ البدءِ ؛ فأعدو عبر الأزمان أُجَمِّعُ أرضى غصناً غصناً ، حَجَراً حَجَراً .

يتألّه فيها خَلْقٌ خلف مكاتبهم ، تحميهم أختامُهم المأسورةُ فى الأدراجِ ؛ فتحزن أرضى ، تحـزن حتى تتفجرّ منّى ، تتناثرُ أشجاراً أحجاراً ، أعدو عبر البلدانِ أنقِّب عنها ، والأغصانُ المقطوعةُ تحمل فى عُمْقِ ضمائرها ثمراً .. والأحجارُ المنثورةُ

مـازالـت تحـمـل بين الـذراتِ الجـبـلَ الكَهْلَ ، ومـازلتُ أسـائل أحجاريَ عن بركانٍ يصهر هذى المدن المحنيَّة ، مازلتُ أسائل عن بركانْ .

أمضى فى الطرقـاتِ وحـيداً ، لا تبـهـرنى أبنيـةٌ زاعـقـةُ الأحجـام ، الألـوانِ ، لكـنْ : تبهـرنى النـاسُ .. وتبـهـرنى أرضُ تحـزن ، تخـرجُ منهـا أجيـالٌ سُـرِقَـتْ منّا بَسْـمَتُهُمْ ، لو ضـحكوا : نـبكى .. وإذا غنّوا : تعـصـف بالقلـب الأحـزان تسأل عن بركانْ .

تـتـقـاسـمنى خطواتـى .. جسـدى يـتـملّص منّى ، يلعننى ، يسّاقط منى فى تعبى ، وكـلانا يحمل همَّ الآخـر فى النوم وفى اليقظه

وأنا تتقاسمنى الظلمةُ والإصباحُ

يتقاسمنى العدلُ وقبضةُ الاستبدادْ

يتقاسمنى أصحابٌ وخيانه

يتقاسمنى حمقٌ وعظِه

فأنقِّب عنكِ .. فوجهكِ يجمعنى ويوحّدنى ، ووجهكِ تاريخٌ يأخذنى ويدلُّ خطاىَ على بدء فجاجِ الرحلةِ يعبر بى فجًا فجًا .

وجهُكِ مرآةُ تجعلنى أضخمَ منى .. فتهبُّ خطاىَ الشلاءُ ، معاندةً ثابتةً ، وجهُكِ أفواجُ من أحلامٍ دائمةٍ تأتينى : فَوْجاً .. فوجاً

وجهكِ تاريخى ..

وجهكِ بركانٌ .. ممتلىءُ ثَلْجاً .

* * *

أدعوكِ الليلةَ فالأحمال ثقالْ

أدعوكِ عيوناً تنظر لى ، آذاناً تنصتُ لى ، جسداً يمسح عنّى تعبى

أدعوك الليلةَ .. لكنكِ خلف مساحاتٍ شاسعةٍ ، ترتقبين

مجيئى ، لا تدرين عناءَ الخطوةِ حين تكون الأحمالُ ثقالْ

يغريكِ زواجُ السيارةِ بالطرُقاتِ المسبيّه

وأنا أخطو .. أحلمُ بزواجِ المنجلِ بالقمحِ ..

البُرْءَةِ بالجرحِ ..

الدمعةِ بالصفحِ ..

الثورةِ بالمدنِ المحنيّه

أدعوكِ .. ولكنْ يوقفنا خَطٌّ بين النارِ الرعديّةِ والثلجِ ..

وخطٌّ بين الصخرةِ والموجِ .. وخطٌّ بين الصرخةِ والصمتْ

أدعوكِ .. لعلّى أتفجّر بركاناً تتذكّر منه الأرضُ تَفَجُّرهاَ ..

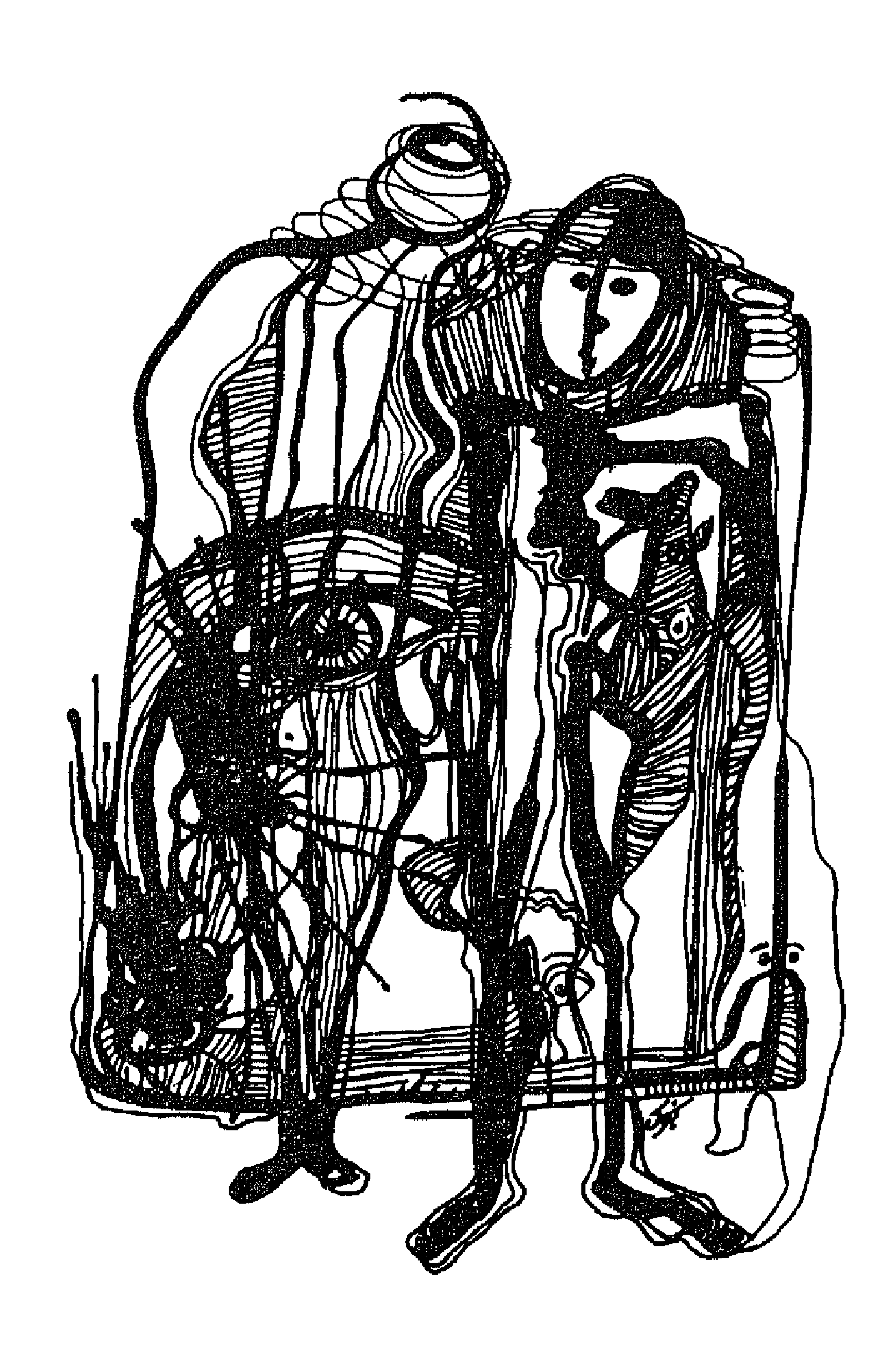
تتذكّر منهُ : أن الأحجارَ المنتشرةَ كانتْ أرضاً ، أدعوكِ

لعلّى أتفّجرُ بركاناً ، يتذكّر – منهُ – الغصنُ الذابلُ أثماراً

ضاعتْ منذ تفجّرت الأرضُ المعشوقةُ حُزْناً

أدعوكِ .. لعلّى أتفجّر بركانًا ..

علّى أتفجّر بركانْ .



مسافة الذكريات

من مذكرات نسر قديم

(١)

تفجّرت السماءُ بقلبيَ

- المفروشِ أبسطةً من الغيماتِ

والمبنيِّ جدراناً من النجماتِ

والوضاءِ بالشمسِ -

تفجرت السماءُ بهِ

فغُيِّرتِ الفصولُ ،

تداخلتْ لغةُ الحصادِ ولهجةُ الغَرْسِ

وأُدْخِلتِ المصابيحُ الشجيةُ - من صوانِ الموتِ - بين مَصَابح العُرْسِ

تفجرت السماءُ .. وأنتَ مسجونٌ بسيلٍ من جليدِ الصمتِ ، مبتلٌ جناحُكَ فوق عُشِّكَ ، يضحك الفيضانُ ، تحمل كفُّه العشَّ الصغيرَ .. وأنتَ يثقلكَ الجناحُ فلا تطيرُ .. وتُنْبَأُ القدمان بالغرقِ المؤجَّلِ ، هاهى البلدانُ تهرمُ ، تنحنى والسيلُ والفيضانُ : قهقهةٌ .. وأنت هرمتَ ، لم يَتَبَقَّ مؤتلقاً سوى عينيك نافذتيْنِ للشمس البعيدة ، تحلمان بلحظة الميلاد عبر مراسم الموتِ

هما كُرَتَانِ من نارٍ تَبَقَّيَتَا من الزمنِ القديمِ ،
تعاندان السيلَ و الفيضانَ باللَّهَبِ
(لو انحنت الجفونُ .. ستغرقُ العينان كالبلدان)
يرقبنى الفضاءُ .. فأشتهى
وجناحىَ المبتلُّ مُلْقًى ، مُجْهَضَ الهَرَبِ

وتسرِي من جذور الريشِ فى لحمى تراتيلُ جنازيه :

تظلُّ أسيراً بين حيٍّ وميِّتٍ

ويومُكَ مخمورٌ يقصُّ الذى قَصَّا

وكنتَ لهيباً طائراً تملك السماً

إذا سَبَحَ الإظلامُ كنت له شِصَّا

وأرضُكَ تَعْرَى تحت ظِلِّكَ بطنُهاً

فَتُفْعِمُهاً قَبْضاً .. وتُفعمُهاً قَنْصاً

وها أنتَ مأسورٌ .. هو الماءُ والفضاً

فلا غَرَقٌ يُدْنى .. ولا غَرَقٌ يُقْصَى

تقهقه حولكَ الأنواءُ ،

تركضُ حولكَ الموجاتُ ،

تقفزُ حولكَ القطراتُ ، تسخر منكَ ،

تَرجْعُ ضِحْكَةُ الليلِ الذى اقْتَصَّا

وتدفعنى يدُ الفيضانِ .. تدفعنى ، وأصرخ فى جناحى ذلك المبتلِّ ، تدفعنى يدُ الفيضانِ ، أستجدى رياح الليل ، تدفعنى يدُ الفيضان ، أهوِى .. إنه الشلالُ .. أغمض مقلتىَّ متمتماً ، أستحضر التاريخَ ، أهوِى .. إنه الشلالُ .. إما قاعُ هذا النهرِ .. أو أُرْمَى على الميناءِ فى المدنِ العتيَّةِ ،

- (قاعُ هذا النهرِ ..

قاعُ النهرِ ..

قاعُ النهرِ ..)

أفتح مقلتىَّ : فتُمْلآن بزحمةِ الميناءْ .

(٢)

جناحى : ليس مبتلاً

طويلُ الريشِ ، يلمعُ تحت ضوءِ الكهرباءِ ، أمام منقارى عشائى ، والشوارعُ : كازدحامِ الغصنِ بالأطيارِ ، تملأها المتاجرُ والمقاهى والمنازلُ ، تزعقُ العرباتُ ، تنهر

مـــن يسـيـرون ، المياهُ تطـلُّ – شـامـتــةً – علىَّ ، تطــل عـبـر

زجاج أكوابٍ بكفِّ الخلقِ باسمةً ، تقهقه فى نراجيل المقاهى ،

تـرتمى فى الأرض ضــاحـكـةً تُرَشُّ من الخــراطيـــمِ الكئيبةِ ،

ما رأيتُ الحُزْنَ فى هذى المياهِ سوى :

إذا طلتْ بعينِ الخَلْقِ ،

ساعَتَهاَ : نفضتُ جناحىَ النشوانَ ..

لكنْ .. صَدَّهُ قَفَصِى .

جناحى ليس مبتلاً ..

طويلُ الريشِ ، يلمعُ تحت ضوءِ الكهرباءِ ،

أمام منقارى عشائى ..

ولا أرضاه بين أضالع القَفَصِ !

تُلَوِّنُ حولىَ الأسلاكُ ألواناً وألواناً

ولستُ أُبَاعْ .

وأوضعُ فوق كَفٍّ المتجرِ – الثرثارِ أضواءً –

ولستُ أباعْ .

وحولِى كلٌّ أصحابى ..

يَرَوْنَ النار فى عينىَّ ، يلتفتونَ ،

يرتقبونَ فى الأقفاصْ .

(٣)

لماذا جئتِ هذى السوقْ ؟؟

وأنتِ يمامةٌ بيضاءُ لا تُدْمِى وتَقْتنِصُ

لماذا جئتِ هذى السوقْ ؟؟

وأنتِ حبيبَّةٌ كالوردِ لو مَرَّتْ به نَسَمَاتْ ..

وكالخدّين لو يسقيهما النَّفَسُ

لماذا جئتِ هذى السوق ؟؟

لنغدوَ فى الدجى جيرانْ ؟!

ليلتقىَ الأسى بالصمتِ .. والأحزانُ بالأحزانْ ..

ونقضى لَيْلَناً ، كلّ يحلّقُ حولَهُ قَفَصُ ..

لماذا جئتِ هذى السوقْ ؟ !!! .

* * *

كأنَّ الحزنَ فى عينيكِ يُشْعِلُ فى دمى مُدُنًا

فتلتهبُ الشوارعُ بالمتاجرِ بالمنازلِ ، ثم تحترقُ المياهُ ، أظل

أَخْبطُ بالجناحِ حوائطَ القفصِ العنيدِ ، أظلُّ أَخْبِطُ صارخاً ،

وأظل أخبط صارخاً ، وأعيد ذاكرتى إلى قلبى

تفجرت السماءُ بقلبىَ

– المفروشِ أبسطةً من الغيماتِ

والمبنىِّ جدراناً من النجمات

والوضّاءِ بالشمسِ –

تفجرت السماءُ بهِ

وها أنذا : أُخَبِّطُ صارخاً بجناحىَ الظمآنِ ، أُخْبِطُ صارخاً ،

وأظلُّ أَخْبِطُ صارخاً .. وأظلُّ حتى الموتِ ..

حتى الموتِ .

الخيوط

[إلى عبد العظيم درغام]

- (نُزِعَ العَمَى)
دنيا تقاتلنى ..
فأشجارٌ تَشُقُّ ثيابَهَا ، تعدو ورائى ولولاتٍ ، تَرْجُمُ الخطواتِ بالأحجارِ ، تقذف فاسدَ الأثمارِ فى وجهى .. ، صباحٌ مُرهَقٌ ، عَرَقاً يُصَبُّ على جفونى ، يمنح العينين مِلْحَ الصحوِ ، يرسمنى خُطى ثورٍ وساقيةً .. ، مساءٌ يائسٌ .. ركضٌ بغيرِ جِيَادْ
صوتٌ بلا مَعْنىً ، بلادٌ مابها ناسٌ ، وناسٌ يفقدون بلادْ
مَجْرى بلا نهرٍ .. وعَجْزُ الدمعِ أن يسقِى ، وعجزُ الكفِّ

أن تُعْطِى ، وجوعٌ يأكل الفقراءَ ، يحملهم ويلقيهم ، ويحملهم ويلقيهم ..

فهل نُزِع العَمَى ؟؟!

* * *

دَفعتْ بنا أيدى الجنود إلى الحدود ، إلى الإجازات
القصيرة والقطارات الفقيرة والسلاحْ
هى فُوَّهات للبنادق لاترَى غير الصدور تُهَلِّلُ
الأيدى،الوجوهُ لها ..ويُمْنَحُ من يريقون الدماءَ الأوسمة
تهوى إلى قلبى علاماتُ السؤال المبهمة
نهوى ..فهل نُزِعَ العَمى ؟!!

ونسيرُ .. خَيْطٌ بين شارعنا الفقير ، وبين أهواء القُوى الكبرى بهذا العالمِ الملتاث ، خَيْطٌ بين نافذةٍ مُكَسرةً هنا بترامٍ بلدتنا ، وبين السيلِ مليوناً فمليوناً تُجَرِّعُهاَ الصواريخ الفتيّةُ ، نرتمى بين الخيوطِ ولا نراها .. يولدُ الإنسان أعمى ، كلُّ خيطٍ عُمْرُ جيلٍ يُمْنَحُ الإجهادَ ..

– كان الفقرُ أخلاقاً مُثَقَّبَةً ..
– شهيدٌ أيها الجيلُ المعاندُ ..

كانت الأجيالُ تُرْساً بينه خيطٌ
وبين رصيدِ أموالِ الزعامات البهيَّةِ فى البنوكِ الأجنبيَّةِ ، كلُّ جيلٍ فى رصيد البنك رَقْمٌ ، يَمْنَحُ الحاراتِ أبناءً خراباً .. يولد الإنسان أعمى ، تائهاً بين الخيوطْ .

[كان خيطٌ بين عينيكِ
- المرفرفتين فى صدرى - وبينى
طَيَّباً .. يسرِى .. يحنُّ
كَألْفَةٍ بينى وبين ملامحى .
خيطٌ من القلبِ الصدوقِ
يمرُّ بالرأس العنيدِ ،
يُفَتِّحُ الأزهارَ فى عقلى ..
على خيط الحقيقة]

كان ثوبى حِفْنَةً من أشهرٍ عَرَقٍ .. وكانت لعبةُ الأطفال قاطعةً رغيفاً من عَشَائِى .. يولد الإنسان أعمى ، عُمره خيطٌ فهل نُزِعَ العمى عنه ؟ ! .. وبين يديه آلافٌ من الكُتُبِ التى تستكشفُ الكونَ ، المعاملُ فى يديه ، المالُ ، أبحاثٌ بلا عددٍ ، علومٌ ما لها حدٌّ .. فهل نُزِعَ العَمَى ؟؟!

تمشى الخيوطُ إلى خطانا النافره

خيط الحقيقةِ بذرةٌ فى القلب تَنْبُتُ ، تَفْلَقُ السطحَ الحجارَ الكافره

تنمو إلى رأسٍ عنيدٍ ، تمنح العقلَ المُطَهَّرَ زهرةً ،

تستقطبُ الشمسَ الحرونَ ، تسابقُ الصبح البهىَّ ، تعاندُ الكَسَلَ الشهىَّ ، تُقَطِّعُ العُقَدَ ، الخيوطَ ، من الأيادِى العاهره

ويظل بين الناس خيطٌ للحقيقةِ وحدِها ، كلُّ العيونِ الصابحاتِ تراه .. هيا نبدأُ التحريرَ بالقلبِ المبقَّعِ بالصديدِ ، أنا وأنتِ : بدايةٌ .. مُدِّى يديكِ الآن لىِ ، صوتى : غَدٌ ، صوتى زمانٌ قادمٌ ، صوتى يجئ إليكِ نشواناً شهياً طَازجاً ، مترقرقاً كالماءِ ، مندفقاً ، حييًا كالفراشِ ، معانداً كالركضِ فى قَدَمِ الجوادِ ، مغرداً ، صوتى يجئ بلا رصاصٍ بين أحرفهِ الصغارْ ..

لكنه جَبَلاً يجئْ

صوتى بدون بلاغةٍ ..

لكنه كالماءِ للظمآنِ ، يكفيه ارتضاءً أن يكونَ الماءَ للظمـآنِ .. هُبِّى الآن .. كُونِى طاقةً للشمس ، كُونى الحبلَ (والترحالُ من قاعٍ لقاعٍ) .. وافردى كفيكِ لىِ ، كُونى الخُطَى البيضاءَ .. كُونى ...

كنتُ وحدى صارخاً فى الريح ، أعبر صفحةَ الوادى ، بلادى ليس تذكرنى ، تُلَفُّ على حروفى عقدةٌ ، تمشى الخيوطُ بها إلى لا شئ .. كنتُ أظنُّ أنى - ساعةً - قد أبصرتْ عيناىَ، لكنى أفيقُ على أسَى عَيْنِ الصباحِ ، أهبُّ مذعوراً على جَرَسِ المُنَبِّهِ ثائراً ، فأفاجئُ العينين بالماءِ المثلَّجِ ، أرتدى عَيْنَ الثيابِ ، القهوةُ انسكبتْ بحلْقِى ، أنزل الدرجاتِ ، صفحتُها تراقبنى ، أُديِر محركَ السيارةِ الشمطاءِ ، أركضُ فى الشوارعِ ، كى أوقعَ للحضورِ .. ولا حضورٌ لى بهذا العالمِ الملتاثِ ، أرجع فى المساء مضعضعاً ، يسترجعُ الإجهادُ كلَّ كراتىَ البيضاء والحمراءِ فى شريانىَ المحبوسِ ، أحملُ فى يدىَّ سلالَ هذا اليوم .. كانت لُعْبَةُ الأطفالِ قاطعةً رغيفاً من عشائى ، كان ثوبى

حفنةً من أشهرٍ عَرَقٍ . ،

نَمَتْ عَيْنُ الخيوطِ على خلايا الجيلِ بعد الجيل ، ننزفُ للكبارِ لكى يعيشوا اليومَ ، ننزفُ للصغارِ لكى يعيشوا للغدِ ، انفتحَ النزيفُ ، أهبُّ مذبوحاً ، تشَبَثْتُ ابتداءً بالهواءِ إلى ترابِ الأرضِ ، كانت وحدها تدرِى ، وكان الجَمْعُ يركض فى

لهاثِ الترسِ ، لا يدرى ..

فهل نُزِعَ العَمَى ؟ !! .



ثوبان يبيعهما غريب

أنتظرُ السماءَ فى محطةِ القطارِ،

فى المقهى .. وفى المطعمِ ..

لكنَّ السماءَ لا تجئْ

شَرَيْتُ ثوبْينِ لها ..

وكنتُ أرجو أن تَفُكَّ ربطتيهما الملَوَّنَتَيْنْ

لكى أرى – فى وجهها – ارتعاشةَ الشفتَيْنْ

وألمحَ العينين حينما يطل – فجأةً – فَرْحُهُماَ المضئْ .

مشيتُ فى السوق وحيداً

رأيت فيها الفقراءَ : يأكلون الفقراءَ ..

والصغار : جائعين .. جائعين ..

- ينحلون فى جلابيبَ طوالِ العمرِ -

والباعـةَ : مازالوا كباراً جبناءَ ..

والعيون : حولَهم تموءْ

ناديتُ : ياسماءُ .. أين أنتِ ؟ !

هاهى الجلابيبُ تسير حولنا فى قدميْنِ ، تشتهى الحَلوْى .. وترجو أن تكون فى غدٍ يافعـةً ، جالسـةً فى كَتِفِ السوقِ بمقهىً ، فيصفّقون للنادلِ ، يأتى لهمو بالشاىِ و"الجوزةِ" ، ثم يذهبون وحدهم للحائكِ ، الحلاّقِ .. يرحلون للجيش مساءً فى القطارِ .. والقطارُ خائنٌ يخدعُ من ينتظر الرحيلَ .. آهٍ .. ليتهم لا يحلمون ، ليتهم لا يكبرون .. فالجلابيبُ قِصارٌ .. والقطارُ يرفضُ المجئْ

وها أنا أسيرُ ، تحت إبْطِيَ الثوبانِ ، ما اشتراهما سوایَ

يا سماءُ .. فارتديهما لليلةٍ .. لساعةٍ .. للحظةٍ .. لعلّنى أجمع من شجاعتى بأساً ، لكى أبصقَ فى عيون هذا البلدِ الردئْ .

* * *

جاء الزحامُ بغتةً - إلى محطةِ القطارِ - فائراً ،
مرتقباً ، لكنما القطارُ يرفضُ المجئْ
تَعشَقُهُ مدينةٌ فى أوَّل الطريقْ
أعشقُهاَ ، أحملُ من أجلِ عيونها هداياىَ وحُزْنِى .. وابتسامتى وشَّالاً من نجومٍ ، ورضىً ، وقَمراً تحملهُ سلسلةٌ من خَرَزٍ ، توضع حول جِيدهاً .

* * *

حَمْلَقَ فىَّ البرتقالُ ..
فامتشقتُ بسمتى
- هُزْءاً -

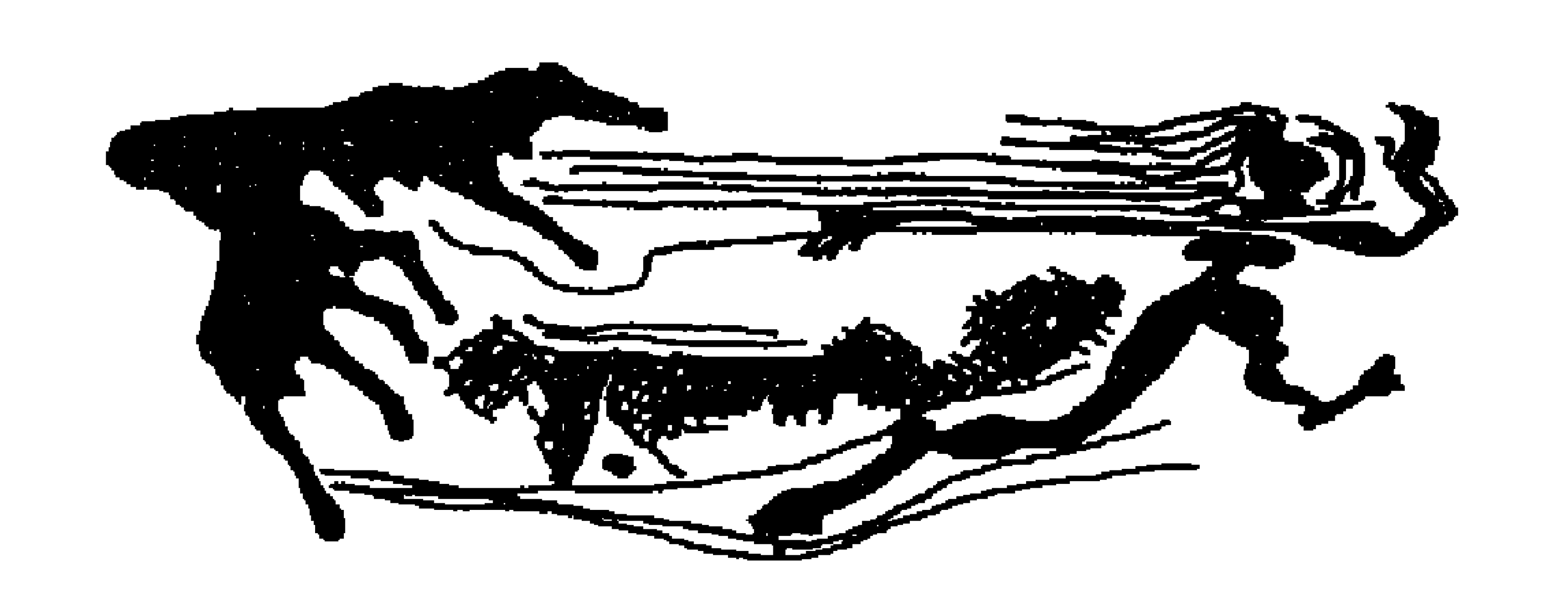
وطوَّحتُ اليدينْ

وسرتُ في السوقِ أنادى :

من يشترى ثوبْينْ

من يشترى ثوبْينْ !

*   *   *



قطر الندى تهرب فى ليلة العرس

(١)

ساعةٌ تأتى ؛ فيأتيكِ المخاضْ
وتشقّين التحاريقَ ..
وتعلو – فيّ – كفّاكِ فروعاً وورَقْ
وتعيدين إلى العين احتفالاتِ الحصادْ
وتمدّين مكانَ الحائطِ العالى : أُفُقْ
حينَها : تولد فى القلبِ حقولٌ ..
تتهادى فى عروقى ،

تترك الحُبَّ سلاماً فى الخلايا ..

وتريق الشوقَ - فى الصدر - تباشيرَ سماءْ .

(٢)

وزّعوا الحنّاءَ فيِ عُرْسِكِ ..

وامتدّ إلى بغداد دربٌ من ضياءٍ ..

وبكيتِ

لم يكنْ يسمع صوتَ الليل فى صدركِ غيرى ..

وبكيتِ

كان حول الهودج - الحلوِ - بناتٌ تتغنّى ....

وبكيتِ

كنتِ تدرين شروقَ الصوتِ فى صدرى .. وأ ّ

أقرأ الصمت .. وأنىّ

أسمع الحزنَ .. وأنىّ

عائدٌ فى ساعةِ البدء إليكِ ..

فانتظرِى .

(٣)

جاءت الخيلُ إلى قصرك نيلاً ..

بسيفٍ تترّيه

فتركتِ الثوبَ فى المضد يبكى .

وتحّولتِ إلى وجهى ..

وسافرتِ إلىّ

(٤)

كنتِ تمضين على الصحراءِ جذعاً طيّباً ..

سافر فى القفر وحيداً

وتذكرتِ هواىَ الطِّفْلَ .. حين التاثت الأرضُ من الوَهْجِ ..

وساقى تضربُ الرملَ ، فينشقُّ ينابيعَ ، تروِّى حقلَكِ الغضَّ ..

وتأتيكِ القرى تلتفُّ حَوْلَكْ

وتذكرتِ - مساءً - عجلاتِ الحرب تهوِى فوق أطفالكِ تبغى

بسنان الرمح حَقْلَكْ

وأنا آتى ، بكفىَّ أُبعْدُ السقطةَ عنكِ

وأعيدُ الصبحَ للأشجارِ ميلاداً جديداً

وتذكرتِ صعودى سامقاً كالريح ، أُدْمِى ساحةَ الصحراءِ ، أدعو هاتفاً : وا إسلاماهْ

وأزيلُ الدرعَ عن صدرى ، وألقىِ - الموتَ - أبطالاً وأُعْـيِى خلَيهم فى العَدْوِ من أرضى ورملى ، عائداً فى ظل الله .

وأعود - الصبحَ - فى قصرى عليًّا

وأروِّى الحقلَ من بين يدىَّ

وأغنّيكِ طويلاً .

وعلى همسِ الصدى ..

سرتِ على الصحراء جذعاً راقصاً ،

يشدو لأحضانِ اللقاءِ الأبدىْ

وأتيتِ .. !

(٥)

كان فى القلعةِ حفلُ

وعلى الباب وقفتِ :

دونكِ الجندُ .. ودونى !

وانتظرت ..

كى ترَىْ وجهىَ - فى الموكب - يبدو دافقاً صبحاً ..

ولكنْ حينما مَرَّ من الأبوابِ رَكْبٌ من أميرٍ وحَرَسْ :

أُغلق البابُ علينا .. وعزقنا فى الرصاصْ .

كان فى القلعة موتُ

وانتظرت :

كى تَرَىْ وجهى .. ولكنىّ - وحيداً - كنتُ أهوِى بحصانى طائراً ..

(فانتظرينى .. لا على الأبواب .. إنى : عائدٌ فى ساعةِ البدءِ إليكِ)

وابتسمتُ ...

فبكيتِ .

أرض تتفجر فى جسـدى

ضُمِّينى ..

لا ترمينى ..

كيف أصدّق أنكِ مازلت حدائقَ ؟؟

كيف أصدّق أنكِ ..

مازلتِ النهرَ الراكضَ كى يسقينى ؟؟

كيـف أصدّق يامن أعطيتِ لأعـدائى خبزِى

وفتحتِ البابَ لكى ترمينى ؟؟

وأنا ولدكْ :

أحتاج إليكِ ، وأحميك بدمِّى

وأنا ولدكْ :

فاحمينى ..

ضمّينى ..

لا ترمينى ..

مازالتْ أرضٌ تتفجّرُ فى جسدى ، فتقسِّم مافيها ، تُلْقِى بجبالٍ سوداءَ على قلبى ، تُلْقِى ببراكينَ تحرَّقُ فى كبدى ، ثم تفيضُ بحارٌ فى حَلْقِى ، تغرقنى ، مازالت أرضٌ تتفجر ، فتقسِّم ما فيها ، لو يوماً تتفجرٌ عشوائياً ، فتضلُّ جبالٌ دربَ القلبِ ، تضلُّ براكينُ ، تضلُّ بحارٌ ، قد لا ترتدُّ تواريخى ، قد لا يرتد يقينى بكِ .. قد لا يرتدُّ يقينى ..

ضمّينى ..

ضـمّيني بين ضلوعك حتى لا تَلْقى الريحُ طريقاً

لى كى تطفئَنِي ، لن تجدِي محترقاً مثلِي يوُقِد دربَكِ ..

ضمّيني عَلّى أتناسى أن النصلَ الغـائصَ فى قلبى باقٍ .. علّى أنسى أن تواريخَكِ غيلانٌ تنهش لحمى ، علّى لا أفهم أن نهارى يرفـعنى حـتى الشـمس ، وعـبر صـحارى ليلى يلقينى علّى لا أعرف أن ضلوعي مَلّتنِى ، تتأهّب كى ترمينِى فى جَدْبِ سنينى ..

ضّمينى ..

لا ترمينى ..

لا ترمينى .. فأنا لا أعرف غيرَكِ ، لكنى لا أَقْبَلُ فيكِ أماناً محنياً .. لا ترمينى .. كلٌّ بلاد الدنيا تتمنّانى ، تحلم بى ، ترجـو أن تلمح ظِلّي لو بالظنِّ يميل إليـهـا ، لا ترمينى فبلاد الدنيـا تتـأهّب كى تَتَلَقّفَنِى منكِ ، وتعدو بى، لن يدركـهـا ركضُكِ لوِ أخذتنى ، ستـكبِّلنى بالتـرحـابِ ، وتعـمْى بالنور عيونى ..

ضمّيني ..

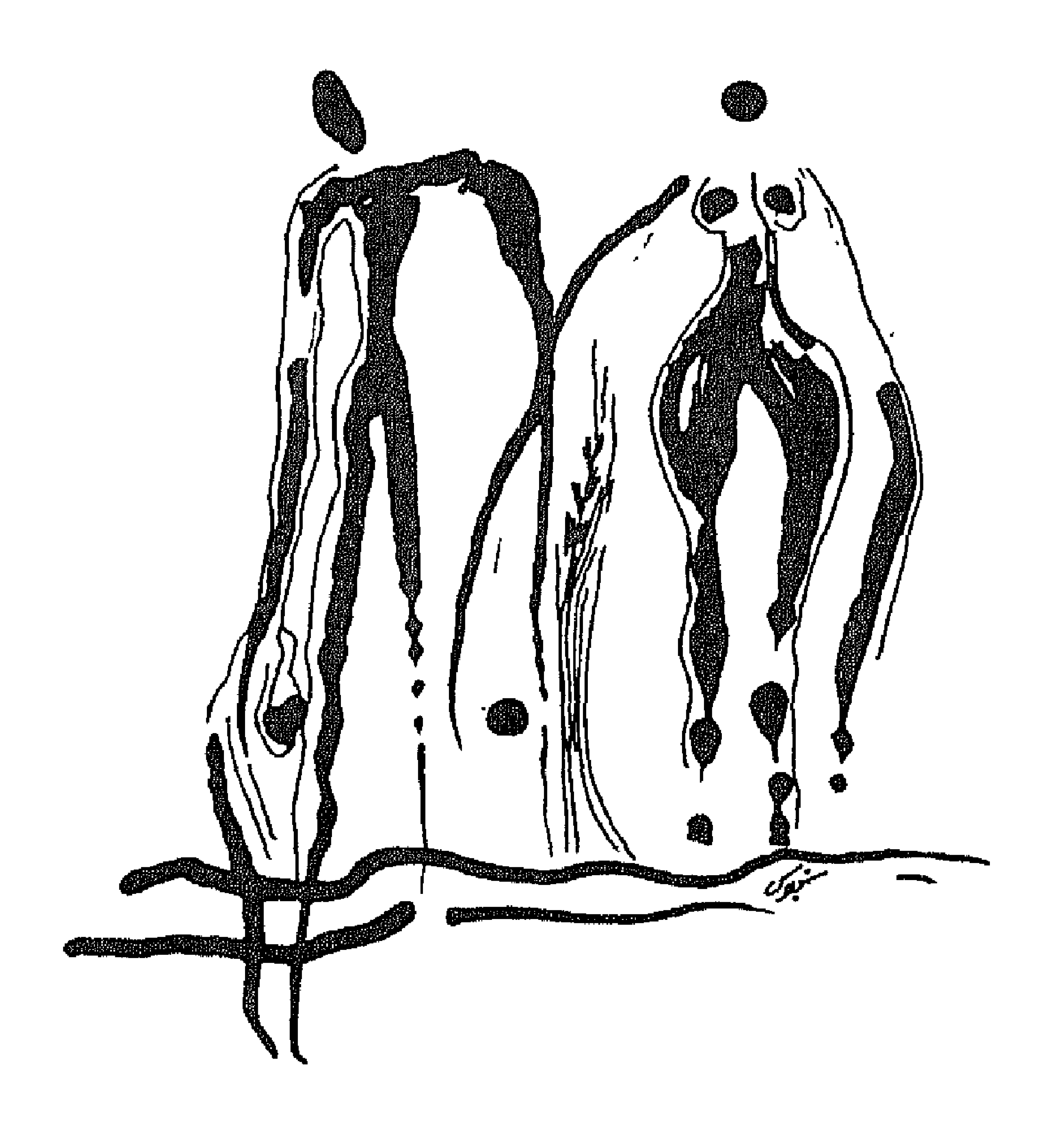
لا ترميني ..

إني أتذكّــر .. منذ سنينَ طوالٍ كــانت
تتفجر في جسدي أرضٌ تذبح في عينيَّ رضائيَ ،تَمْزِقُ من حبِّي
نصفَ خريطته ، فتريق الحبرَ الأسود في صفحاتي ، يطمسُ
أحلىِ أوقاتي ، يُقحِمُ أحزانيَ حتى في عزٍّ الجنس ، ويبتر يمنايَ
الحاملةَ الراية حتى في يومِ النصر ، ويُسْقِطُني فوق الحَلَبَةِ
يقتلني أرَقي (لا أغْمِضُ ، لا أنهضُ) منذ سنينَ طوالٍ كنتُ ..
وها هي ذي أرضٌ عادت تتفجر في جسدي ، تقهرني ، من
لحمي تطعمني كرهاً ، من دمِّي تسقيني ..

فتعاليْ أنتِ .. تعاليْ ، لا تدعيني وحدي ..

ضمّيني ..

لا ترميني .



مسافة الإفاقة

.. لكنك لا تدرين

جسدى ملقى ..

يركض فوقى جيش جياد ٍ ، تغرس كل سنابكها فى لحمى ، تصهل بين ضلوعى ، تتحنّى بدمى ، تتشبث عيناى بشمس واهية ٍ غلّفها فى الصبح ترابٌ منثورٌ ، شققها ليلٌ ، فهوت بين ضلوعى بعضَ سنابكَ من نار ٍ ، يركض عبر عروقى دَمِّى نارياً ، يبحث عما ضاع ، وأنت على المضجع نائمة لا تهتمين بما يسرى فى كبدى ، أنظر فى وجهك : مازالت بين العينين مسافاتٌ ، بين الشفتين مسافاتٌ ، بين الأذنين

مسافاتٌ ، تأكل أذنيَّ حكاياتٌ ، ترمى فى صدرى ناراً ، أشعل رأس السيجارة ، أسحبها فى صدرى ، أطلقها أشباحَ دخانٍ تحكى قلبى نفساً نَفَساً .

وجهى مات بصدرك ؟؟ .. أم وجهى لم يدخل صدرك منذ البدء ؟؟ .. لماذا مازالت تسحقنى فى الليل سنابكُ جيشٍ يركض فوقى ؟؟.. لو أنكِ كنتِ مددت لعينى حتى هدباً من أهدابك ، لا نتفض القلب ليجعل أوردتى للجيش لجاماً ، يجعل صوتى ناراً ترهب كل جياد العالم ، توقفها ، ولكنتُ صهلتُ ، ركضتُ على أعراف الخيل ، ربحتُ سباق العمر ، صعدتُ على جبلٍ ، قمّتهُ لا تتسع سوى للمنتصر الصاهل فى كتب التاريخ .. أعيدى وجهك لى .. فعلى وجهى ما لا تدرين .

لو أنك تلتفتين إلىّ قليلاً .. لرأيت على وجهى أياماً تتقاتل ، طُرُقاَت تتشاجر ، بلداناً تتجمل لكِ ، تفقس بيتاً سكناً .. وحدائقَ تتنفس أطياراً تتنفس أزهاراً .. ومواسمَ

تفقس خبزاً ، فاكهةً .. شمساً تحنو .. لو أنك تلتفتين إلىَّ قليلاً لا لتأم القمر المكسور بعينىَّ ، لهبّت أقدامى توقظ كل دروب الأرض ، لكنتُ سحبتُ الغد من حَلْقِ السنواتِ .. وكنتُ .. وكنتُ .. ولكنكِ لم تلتفتى لى .. كان الأمس بعينيكِ جميلاً .. وأنا كنتُ جميلاً .. لكنكِ لا تدرينْ .

أعلم أنى سأجيئكِ يوماً ، يقف الميدانُ على قَدَمٍ منتظراً أن آتيِ ، تشهق كلُّ نجومِ سمائكِ حين أجئ ، بكفّى أحمل ما حصدتْهُ سنواتى ، فى عينىَّ الآفاقُ الممتدةُ ، أمتلكُ الراية ، أزرعها فى رأس الجبلِ ، أجيئكِ يوماً .. أعلم أنى سأجيئكِ يوماً ، يتبعنى الغدُ طَوْعاً ، يتمنَّى أن يلحق بى ، أعلم أنى سأجيئكِ يوماً .. أعلم أنكِ فى ذاكَ اليومِ ستدرينَ .. ستدرينْ .

أحرق كل مسـافاتى

أعدو فى طُرقاتكِ - يا بلدتى الملعونةَ - غصناً

مشتعلاً ناراً

أتنفس ناراً

أتقصف ناراً

أتعالى ، أغضب ، أتمطّى ناراً .

أعـدو .. لا يوقـفنى شئٌ ، غـضـبـاً أحـرق كل تراب الحـارات ، أصـارع جـدران البلدة ، أصـفع أبواب الأمـوات ، أعافر ، أفقأ عين نوافذها ، أرفضها كُلاً ، أرفضها جزءاً جزءاً

أحرقها بدءا بالشَّعر إلى العظمِ ، أعاندها ، أعدو عبر شوارعها غصناً مشتعلاً نارا .

من يوقفني هذي الليلة حيث تنامُ البلدةُ ؟ من يمنحني قُرصَ النومِ ؟ .. قَسَمْتُ الشمسَ إلى كُرَتَيْنِ وضعتهما في عينيَّ ، احترقتْ أوراقي ، قَصَّفَنِي غَضَبِي ، خلَّفْتُ بقايا عبر محلاتِ الميدانِ الدائرِ قُرصاً ، كان رغيفي قرصاً ، قطرةُ دمعي قرصاً ، رأس السيجارة قرصاً .. من يمنحني قُرْصَ النومِ ؟؟ .. هبطتُ ، علوتُ ، شققتُ الجو ، أتيتكِ مخترقاً دائرةَ الماءِ ، خرجتُ شهياً مشتعلاً ناراً .

لو يطفئني دمعي !!

أحرقُ كلَّ مسافاتي ، من كوبِ الشايِ إلى ثوبي ، من صوتي حتى أذني ، من قدمي حتى أفقي ، من قلبي حتى أحبابي ، أحرقُ كلَّ مسافاتي ، محتوياً أزمنتي في وجهي ، أعدو ، من يطفئني ؟ أعدو مشتعلاً ناراً .

حين أتيتُك من زمنٍ لا أتذكّره ، ساقيةً كنتِ تضخّين الماءَ بأوردتى ، أسمقُ مخضَرًا يُثْمِرُنِى وجهُ مواسمِكِ العاشقُ ، أمتدُّ ، أهدهد أعشاشَ الأحلام ، يسامرنى نجمى ، ذاتَ مساءٍ : فى القلب رمانى بُرْجُ القَوْسِ بسهم النار ، رأيتكِ رامقةً وجهىَ ، تخرج نارٌ لا أعهدها من عينيكِ الطيبتين ، تضخّان لهيباً فى أوردتى ، من يومِ النار : عدوتُ وحيداً مشتعلاً ، لم يطفئْنى يومٌ من أيام العام ، عدوتُ مسافاتٍ ، كانت كلُّ مسافاتى ناراً .

يقتلنى أرَقِى ، تحرقنى نارى ، أبداً أعدو فى طُرقُاتكِ يابلدتى الملعونةَ غصناً مشتعلاً ناراً ..

مشتعلاً ناراً ..

مشتعلاً ناراً .

انتظرينى .. حين يعود الوطن الغائب

منطلقٌ سهماً ..

مخترقاً جدران الأصوات إليك ، إليك الرحلةُ ، صومُ الأعوامِ ، الأيامُ المشنوقةُ فى تاريخى تتأرجح بين العينين ، تلوم ذراعى المشلولةَ ، ماءَ الوجهِ ، القدمَ المجنونة ، صَمْتَ القلبِ ، القلبُ حدائق تتفتح ، تختال ، القلب المرآة ، انتبهى لى ، إنى أدعوك ، أمد يدىَّ إلى آخر طولهما ، أدعوك ، نذرت القلب لعينيك الخضراوين ، لوجهك ، وجهك ملتفت عنى ، لا يسمعنى وأنا أصرخ أصرخ ، أخرج من آخر صوتى ، منفيا فيك أنادى ..

يخنقنى صوتى .

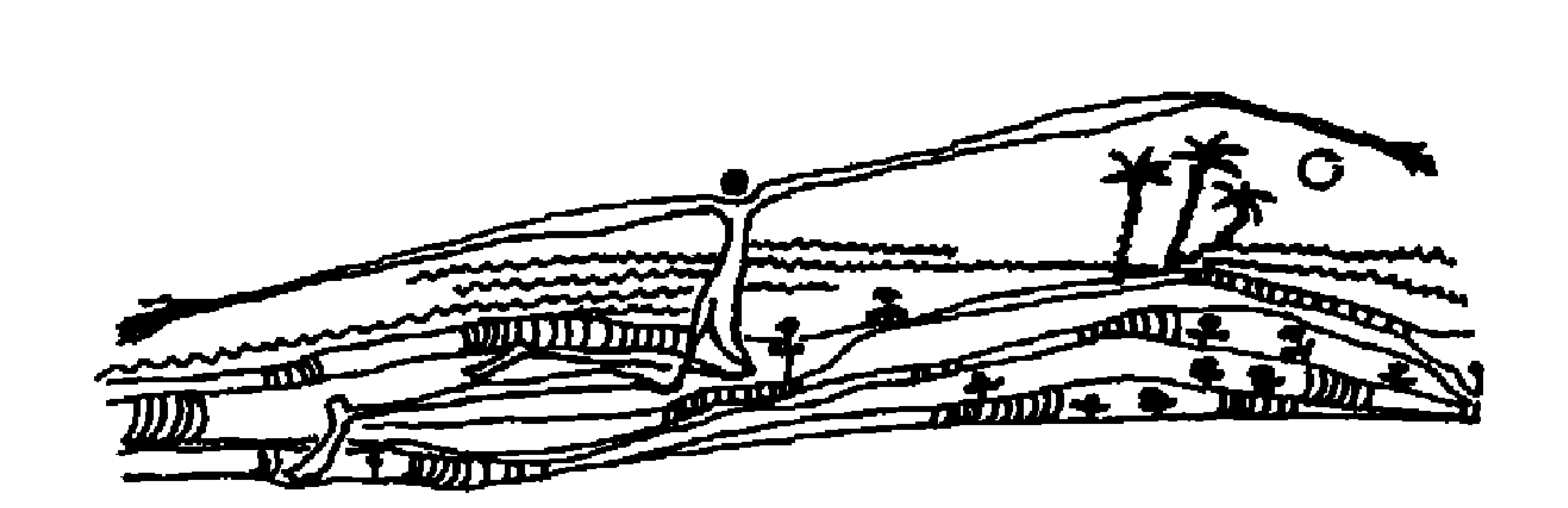
ستجئ من الأيامِ الأيامُ العُرسُ العيدُ ، يعانقنا البدءُ حصاداً ، أعلم أني يوماً آتيكِ مواسمَ ، أنشقُّ على كفيكِ ثياباً للأطفالِ ، رغيفاً أنشقُّ رغيفيْن فأربعةً فثمانيةً .. حتى تشبعَ كلُّ الأفواه ، أجيئكِ ظمآناً كالموجِ ، عتياً كالريحِ ، بهّيا منفرداً كالنجم ، أعانقُ فيكِ مواعيدَ العودةِ للوطنِ الغائبِ ، كان ارتحل الوطن يُجوبُ الآفاقَ ، ينقِّبُ عن رزْقٍ ، كنا ننتظر العودة في حجراتِ سعالٍ ليليٍّ يندسُّ عفياً ما بين شهيقيْنِ ، وكنتِ نبوءةَ أيامِ العشقِ الشتويِّ ، وقفتُ طويلاً في البرد الحلوِ عشيقاً مرتقباً وجهَكِ يَنْهَدُ من بين وجوه التلميذات ، حملتِ قصيدةَ شعْرٍ من عينيِ كانت رأسِ المالِ وغبتِ ، رسمتُ على زندي قلباً يطعنه سهمٌ ، ها أنذا آتيكِ الليلةَ ، ها أنذا منطلقاً سهماً أخترقُ جدارَ الأصوات إليكِ ، أنادي مِلْءَ الريحِ ، تنادي الريحُ .. أنادي ..

يخنقني صوتي .

انتظريني حين يعودُ الوطنُ الغائبُ ، أحمل في جمجمتي

ميعاداً ، أحمل زاداً وعتاداً ، فى كفّى : كيف الحالُ ؟؟ .. انتظرينى فى ميلادِ الطفلِ أباً ، في خوف الأيدى أن تمتد لأخذ الحق يدا ، فى الأمس غداً ، فى الصمتِ لساناً ، ها أنذا منطلقٌ سهماً ، مخترقاً جدران الأصواتِ إليكِ لعلّكِ تلتفتين لصوتى .. وأنا ..

يخنقنى صوتى .



لماذا بيننا هذا الخراب ؟؟

مُلقىً من جَبلٍ ، يَشْدَخِنُى حَجَرٌ ، يخلع كفىً ، يكوّرنى ، ينزِع عنّى جلدىَ ، يبصق فى عينىٌ تراباً ، يجدعُ أنفى ، يكسرُ عظمى ، يسحبنى حتى السفحِ ، ليتركنى كَوْماً ، مهزوماً من ميلادِ النبضةِ فى القلب ، حزيناً حتى قاع الجمجمة المشقوقة ، منفياً فى صمتى ، فى عمقِ كراتِ دمائى ، أهوِى : يهوِى فى جمجمتى الحَجَرُ ، انتحرتْ سنبلةُ العشقِ ، انقطعَ الحبلُ ، فلا تنتظرينى فى الغدِ ، إن العشقَ مسافاتٌ ، كل مسافاتكِ ماعادت تدعوكِ إلىَّ ، مسافاتكِ ألقتنى من جبلٍ ،

أسلمنى للَحَجرِ الأمسِ ، الحجرِ اليومِ الحجر الغدِ ، لا تنتظرينى ها أنذا أتكوَّمُ فى رئتى جمجمةً .. وبقايا جسدٍ من أسفارٍ ومواعيدَ وركض فى أفقٍ محموم .

كنتُ خطابَ العشقِ صبوحاً لم تكتبْهُ أناملُ ، لم تقرأهُ عيونٌ ، كنتُ جواداً لا يتوقفُ ، كنتُ العشبَ الطالعَ يحلمُ بالغصنِ السَّلَةِ ، بالأوراقِ الأعلامِ ، همست طويلا في أذنيك أغانيَّ الطازجة ، اخترتُ عيونك ، أوقفت دمى ، أصوات الأحلام عليكِ .. تغنَّيت طويلاً بكِ حتى ملّتنى عيناكِ العاشقتان ، إذا بالتقويم بقايا أوراقٍ تختلط الأشهرُ ، تتّسخُ مواسمنُاَ ، يصعدُ من أزهار الأمس دخان يتشاجر بين العينين ، أعيدينا حرفيْنِ

صَبوُحَيْنِ ، فهذى أنتِ تخوضين الأحلامَ الفَجرِيَّةَ ثوباً فى الريح ، وها أنذا أتكوَّمُ فى رئتى جمجمةً .. وبقايا جسدٍ من أسفارٍ ومواعيدَ وركضٍ فى أفقٍ محمومْ .

أخشى .. إن جاء اليومُ البركانُ يُفجِّرُ فىَّ كراتِ دمائى ، يمسك بى من عُنُقى ، تصفعنى ذكرى الأيامِ الناريَّة ، أشتاطُ ، أهبُّ ، أمزِّقُ عن وجهى أثوابَ سمات الحكمة ، أحرقُ كلَّ مسافاتكِ ، أسكب كأسَى فى الأرض ، أهبُّ ، أشقُّ الجدرانَ ، عنيداً أسحقُ كلَّ الأصواتِ الزِّيْفِ ، صراخاً أخترقُ الأغنيةَ الزيفَ ، أكوِّرُ أحلامىَ ألقيها فى البحرِ جماعاتٍ أركضُ من قاعِ الحَجَرِ المَشْدُودةِ إلى قاماتِ الريح ، أعاندُ كلَّ خلايا جسدى ، أُثْقُبُ جدرانَ الأعْصُرِ سهماً نارياً ، أبتدعُ لصوتى لغَةً ، أبتدعُ الغدَ ، أبتدعُ مساحاتِ الغضبِ ، انتبهى .. يتحرَّكُ فى صدرى صوتُ مواعيدَ ستأتى ، تنتشلُ الجمجمةَ المنفيَّةَ فى رئتى ، تقذفها فوق العُنُقِ ، الأيامُ تبايعنى ، فأنا اليومُ القادمُ بَدْءاً ، أسفاراً وموعيدَ .. وركضا فى أُفُقٍ محمومْ.

انفجار ..
فى مواسم الحجر

أَتَفَجَّرُ فيكِ الليله

وأمدُّ يدِى فى حَلْقِي ، أُخْرِجُ منهُ أسلاكاً شائكةً ، منذ زمانِ الجنديةِ ، أُخْرِجُ منهُ عرباتِ قطاراتٍ لا تتوقفُ ، أُخْرِجُ منه أحجاراً طرحْتهاَ أشجارُ الأعوامِ المهزومة ، أغلقتُ الصدرَ على ما فيه زماناً ، فانغلقَ الحَلْقُ ، غدوتُ عيياً .. لو أنى أبقيتُ بعينىَّ دموعاً ، كانت تُنْبئُكِ اليومَ بما فى الصدرِ .. لهذا جئتُ أمدُّ يدى فى حَلْقيِ كى أُخرِجَ منه ما يُدْهِشُ عينكِ الآنْ .

كانت أبوبُ السجنِ جداراً حين انغلقتْ ، كان الحارسُ أعمى ، والسوطُ بكفِّ الحارسِ أعمى ، لكنْ كانت جدرانُ السجنِ تحيط بعينىَّ ، تحيط بجلدى .. ، حين هربتُ . على

مَقْعدِ طائرةٍ : أَلْقَى بى فى بركةِ ماءٍ ماتَ ، رأيتُ بها قمراً يتعفَّنُ ، فعلمتُ بأنَّ القَمَر المتألِّقَ مبتسمٌ فوقَ الرأسِ ، رفعتُ عيونى فإذا بجدارٍ يهوِى فوقى ، لم ينقذْنى إلا الطين النَّيِّئ فى قاعِ البركةِ ، حين خرجتُ مررتُ بحقلى فاتسختْ أشجارى ، حين اتسختْ لم تطرحْ إلا أحجارا ، أعلم أنى لو أزرعها سوف تُنَبِّتُ جدراناً ستحيط بعينيَّ ، تحيط بجلدى ، تُنْبِتُ لى أسلاكاً شائكةً تصرخُ بى : من أنتَ ؟؟ .. فأرمى سرَّ الليل لها ، أدخلُ كى يوقفنى الضابطُ فى الصفِّ جداراً ، جنبى جدرانٌ ، خلفى جدرانٌ وأمامى خطواتٌ لو أخطوها يُدْخِلُنِى الأمرُ إلى سجنٍ أعمى حيث الجدران .. وتُنْبِتُ لى أحجارى لو ألقيها عرباتِ قطارٍ ، يركض بى من رأسِ خريطتنا حتى قدميها ، تصدمنى بالماء الَميِّتِ ، تلطمنى بالقَمرِ المتعفِّنِ .. لتكرِّر هذا العامَ مواسمَ كلَّ الأعوامِ ، أُريكِ السجنَ القابعَ فى الصدرِ .. لهذا جئتُ أمدُّ يدى فى حَلْقِى ، كى أُخْرِجَ منه مايُدهِشُ عينيكِ الآنْ .

كان على حافةِ جفنى حُلْمٌ يهربُ منّى ، حقاً كان البحرُ

الواحد يجمعنا .. لكنّا كنّا شَطّينِ ، إذا جاءَ الموجُ إلى رَمْلِى
أشعر أنّ بصدرى أنفاسَكِ ، لكنى حين نظرتُ بعينىَّ علمتُ بأنّا
مازلنا رغم جسور الموج بعيدَيْنِ .. بعيدَيْنِ .. بعيدَيْنِ ..
وأخْشى يوماً أرْمِى أحجارىَ فى البحر .. وأحملُ رملْى ..
وأسير إلى جهة أخرى أبحثُ عن واحه
لا تمنحُ رَمْلِىَ مِلْحَ البحرِ ..
ولا تجعلنى أُخرِجُ من حَلْقى مايقْتُلنى الآنْ .



مهلاً

مختنقٌ .. يصفعني صوتُكِ
كنتُ زرعتُ نَوىً ..
وسقيتُ .. رعيتُ .. حفظتُ ..
إلى أن صار نخيلاً
كانت عائلةُ نخيلٍ
شقتْ عبر فضاءِ نهارٍ بيتاً
عائلتى صارت فى أرض الله قبيلةَ نَخْلٍ ،
صارتْ فى أرض الله قبائلَ ،
كانت تتبدَّى بعمائمَ خَضْرٍ ،

ونساءُ نخيلى كانت تتحلّى ..

بالأقراطِ الحُمرْ وبالأقراط الصُّفْرِ ،

هبطتُ الوادِى ، قلتُ :

إذا شاءتْ عينٌ أن تلمحَ نَخْلِى

فلتنظر للأعلى

وأخذتُك من كفِّكِ ، سِرْناَ

ضمّدتُ الجرحَ .. بكيتِ ،

أمرتُ نخيلى

أن يُحْنِىَ كلَّ الهاماتِ لمرآكِ

وَعَدْتُك ألا أرضىَ إلا حين رضاكِ

حَمَلْتك للأفلاك

وقلتُ الشُّهْبُ حجاَرٌ فى كفِّكِ

ترجمُ ذكرى عمرٍ باكِ

قلتُ ستبقين سماءً فى قلبى ،

لن يسكنَ فى القلب سواكِ

ضحكتِ .. وكان نخيلى منحنياً لكِ منتشياً

فهبطتِ على رأسِ نخيلى
لم يغضبْ .. وتضاحك فيه البلحُ .. امتدَّ
على الأرضِ بساطُ السَّعَفِ .. امتدَّ الجذعُ
لأقدامكِ جسراً
كنتُ أمهّد دربَكِ ..
لكنكِ حين رأيْتِ أناقةَ من حَوْلكِ ..
ورأيْتِ تراباً فوق ثيابى
نهرتْنى عيناكِ ..
فكذّبتُ العينين .. ولكنْ
صوتُكِ هَبَّ ليصفعنى ..
فجلستُ وحيداً مختنقاً ..
مهلاً ..
ما شوّه ثوبىَ غيرُ ترابٍ أُبْعِدُهُ عن دربكِ
ما شقق جِلْدَ الكفِّ سوى شوكٍ ..
أنزعه من خطواتكِ
مهلاً ..
فأنا كنتُ بهيًا أكثَر ممن حَوْلكِ ..

لكنى اخترتُ أكونُ شهيداً لكِ ..
لا تعتقدى ..
أن نخيلىَ لا يقوَى فى الصبحِ ..
على رفعِ الهاماتِ ..
أنا أُغْنَى ..
لكنى مرتضياً أنثرُ فى دربك ..
ما حملتْهُ مواسمُ نَخْلِي
حين وعدتُك ..
ألا أرضَى إلَا حين رضاكِ
رفضت الكلَّ .. سواك
وليس سواى سيحمى بالعمر حماكِ
أنَا وحدى ..
بجميع الملتفّين حواليك
أنا وحدى أغلى مما فى أرضك وسماكِ
أنا وحدى أهواكِ كما ... أهواكِ
وأرضى بك إلا .. أن يصفعنى صوتكِ
ساعتها ..
يخنقنى غضبى .

فهـــرس

* مسافة الندم

انطلاق نهر النار ٧

هل سيبعث ماء مات ؟ ١١

اقتليني .. فإني كنت الذى تشتهين ١٤

لكنهم قتلوني ١٨

الانحناء .. لغرس البذور ٢٢

* مسافة التيه

نمت على حلم فات ٢٩

أركض بين تروس الرأس ٣٢

هل أوصيتك بى ؟ ٣٥

الركض فى صحراء الأحلام المجنونة ٣٨

البكاء فى عمق الجمجمة ٤١

حواريات التبغ ٤٤

ليلة بدوية ٤٨
الترحال بين البوابات السبع ٥٢
* مسافة الغيرة
وأنت تداعبين الأمس ٥٧
حينما ركض الجواد القديم ٦٠
فزاعة الطير ٦٣
كان النخيل على ترابك ينحنى ٦٦
وأنا ذَنْب الأيام ٦٩
أريدك ٧٣
* مسافة العناء
تقاتل رأسى مطرقة ٨١
غليان ٨٤
الجدار ٨٧
هذا ماحدث فى الناحية الأخرى للحائط ٩١
سقوط الأوج ٩٥
أدعوك الليلة ٩٨

* **مسافة الذكريات**

من مذكرات نسر قديم ١٠٥

الخيوط ١١٢

ثوبان يبيعهما غريب ١١٨

قطر الندى تهرب فى ليلة العرس ١٢٢

أرض تتفجر فى جسدى ١٢٧

* **مسافة الإفاقة**

لكنك لا تدرين ١٣٢

أحرق كل مسافاتى ١٣٥

انتظرينى حين يعود الوطن الغائب ١٣٨

لماذا بيننا هذا الخراب ؟ ١٤١

انفجار فى مواسم الحجر ١٤٤

مهلاً ١٤٧

صدر للشاعر

دواوين :

١ - ديوان أغنية لسيناء (مشترك) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥

٢ - الترحال فى زمن الغربة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٤

٣ - من سيمفونية العشق - المركز القومى للفنون والآداب ١٩٨٥

٤ - فصل فى الجحيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥

٥ - ولهية إلى الأسكندرية - مديرية الثقافة بالأسكندرية ١٩٨٨

٦ - النيل يعبر المواسم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١

٧ - قطرات من شلال النار - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٣

دراسات :

١ - إطلالة على الشعر السعودى المعاصر - نادى جازان الأدبى - السعودية ١٩٨٥

٢ - أحمد بن ماجد أسد البحار - دار المعارف ١٩٩٥

قصص للأطفال :

١ - عمر المختار - دار الشرق - دولة قطر ١٩٨٩

٢ - عبد الرحمن الداخل - صقر قريش - دار الشرق - دولة قطر ١٩٨٩

٣ - الصوت الغريب - دار المعارف بمصر ١٩٩٤

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع (٨٠١١٤٠٨ / ٩٥)

الترقيم الدولى (I.S.B.N. 977 - 235 - 497 - 7)

رئيس مجلس الإدارة

مهندس / إبراهيم السيد البهنساوى

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٤٠٤٤ – س ١٩٩٥ – ١٠١٢

يفصح ديوان مسافات السفر « للشاعر فوزى خضر عن رؤية شعرية واضحة المعالم للانسان والمجتمع والوجود ، وعن تمرس طويل وخبرة عميقة بالابداع الشعرى ، وقد سبقت هذا الديوان مجموعات شعرية متتابعة ، تبلورت من خلالها تجربة الشاعر ونضجت لغته الشعرية ، واحكامه لقصائدة وهى : اغنية لسيناء الترحال فى زمن الغربة - من سميفونية العشق - فصل فى الجحيم - ولهية إلى الاسكندرية - النيل يعبر المواسم - فطرات من شلال النار - بالاضافة إلى عدد من الدراسات الادبية والنقدية والقصص التى كتبت للاطفال .

وبالرغم من ان الشاعر يكتب القصيدة الجديدة التى تعتمد على التفعيلة اساسا موسيقيا ويميل فى أكثر قصائده إلى اسلوب الانسياب والتدفق والتدوير إلا أنه لا يشذ عن المألوف لغة أو وزنا ولا يقع فيما يقع فيه بعض من يسمون انفسهم شعراء الحداثة من إلغاز وابهام وانقطاع بين القصيدة والمتلقى .